التوحيد
في
القرآن والسنة

الطبعة الثانية

الشيخ محمد علي سلامة

مدير عام مديرية أوقاف بورسعيد السابق

دار الأيمان والحياة

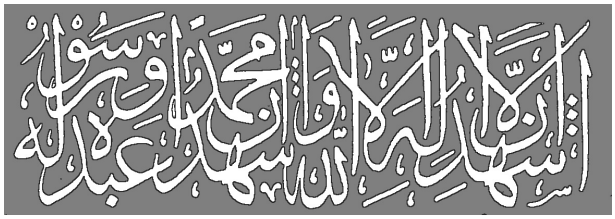

الكتاب	التوحيد فى القرآن والسنة
تأليف	الشيخ محمد على سلامه
الطبعة الثانية	١٠ شعبان ١٤٣٢هـ، الموافق ١١ يوليو ٢٠١١م
الطبعة الأولى	١٩٨٩م، ١٤٠٩هـ
عدد الصفحات	١٢٨ صفحة
المقاس	١٢ سم * ١٧ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون ، أسود
الغلاف	كوشيه لميع ، ٢٥٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان مط مع سبوت يوفى .
إشراف	دار الإيمان والحياة ــ ١١٤ش ١٠٥ – المعادى – القاهرة – جمهورية مصر العربية، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠، فاكس: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
طباعة	دار نوبار للطباعة بالعبور
إيداع محلى	١٩٨٩/٢٨٩٢

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله مولى النعم، والشكر لله واهب الجود والكرم، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد سيِّد العرب والعجم، وآله أهل الجود والكرم، وأصحابه من أخذوا بالعزائم وسبقوا بالهمم، وكلِّ من تابعهم وسار مقتدياً بهم على هذا القدم:

﴿ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢يونس)

آمين .... وبعد،

كثر الخوض فى هذه الأيام فى المسائل الخلافية فى الدين الإسلامى، وتصدَّى كثير من الباحثين لهذه المسائل.

بعضهم تحرِّكه الرغبة الدينية فى جمع شمل الأمة الإسلامية؛ فيحرر المسائل على ما جاء فى القرآن الكريم وصحيح السنَّة النبويَّة.

ويرجع إلى ما توصَّل إليه الأئمة الأعلام فى هذا

الشأن، وهو فى ذلك راغباً النصح لجميع المسلمين من أجل جمع شملهم ووحدة صفوفهم عملاً بقول الله تعالى فى كتابه الكريم فى سورة آل عمران (آية ١٠٣):

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

والبعض الآخر تحرِّكه العصبيَّة، والأهواء الشخصيَّة!

فيتبنَّى مذهباً أو ينتمى إلى طائفة ويريد أن ينتصر لها بأي كيفية! فيلوى معانى الآيات القرآنية!، ويتشدَّد فى فهم نصوص بعض الأحاديث النبويَّة!، و يرفض آراء السلف الصالح الهداة!، ويأخذ برأى الشذَّاذ فى هذه المسائل!

كلُّ ذلك لينتصر فى زعمه لفكره! وإن كان مخالفاً لرأى الجماعة، وليته يكتفى بذلك بل نجده يهاجم من خالفه ويشنّع عليه؛ بل ربمَّا اشتطَّ فى خلافه فيُدْخِل من خالف رأيه فى دائرة الكفر أو الشرك بلا سند من شرع أو دليل من كتاب أو سنَّة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لذلك رأينا أن نعيد طبع كتاب " التوحيد فى القرآن والسنة" لشيخنا وإمامنا الشيخ مُحَمَّد على سلامة دفين مكة

المكرَّمة رحمة الله عليه، لأنه فى رأينا أوفى كتاب فى هذا الباب وأيسره للمبتدئين والطلاب، وهو بلغة عصرية سهلة.

إلى جانب أنه يعالج القضايا الخلافية فى هذا الباب الهام لكل مسلم –باب العقيدة– مستنداً إلى آيات كتاب الله وصحيح حديث رسول الله ﷺ، مستنبطاً بالفهم الذى آتاه الله الحجج التى يستند إليها فى قضاياه، وهى تؤيد الفهم الصحيح الذى توصَّل إليه جماعة علماء المسلمين قديماً وحديثاً المشار إليهم فى حديث رسول الله ﷺ :

{ يَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ }[1]

هذا كله، ناهيك عن أن الشيخ فى هذا الكتاب الذى معنا اتَّخذ المنهج العلمى أسلوباً له فى معالجة مسائله – وهكذا كان دائبه– فلم يقصد إنتصاراً لرأى معينٍ أو تأييداً لمذهب بذاته، وإنما كان قصده إظهار الحقِّ والحقيقة رأباً لصدع الخلاف بين أهل العقيدة الواحدة، وجمعاً لشمل المسلمين على الهدى والحقِّ.

---

١ المسند الجامع، سنن الترمذى عن ابن عباس ﷺ.

فجزى الله عنَّا الشيخ مُحَمَّد على سلامة وعن المسلمين خير الجزاء، والله أسأل أن يجعل كتابه هذا فى صحائف حسناته يوم لقائه، وأن ينفع به كلَّ من قرأه.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا ..

الجميزة، غربية.
فى يوم الأربعاء ٥ شعبان ١٤٣٢هـ
الموافق ٦ يوليو ٢٠١١م.

فوزى محمد أبوزيد

✉: الجميزة . محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
☎: ٠٤٠-٥٣٤٠٥١٩ ، 🖷 :٠٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكترونى:
fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [آل عمران]

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله ورسوله، وعلى آله وعلى أصحابه وعلى المهتدين بهديه إلى يوم الدين، وبعد

فقد طلب منى أخى وحبيبى فى الله ورسوله، الحاج على سليم الأشقر، أخصائى أول متابعة قطاع العمليات الجوية بمطار القاهرة الدولى، أن أكتب رسالة صغيرة عن حقيقة التوحيد الواجب على كل عاقل، أوضِّح فيها لأخوتى المسلمين المنهج السوىَّ فى هذا المجال.

فتوجَّهتُ إلى الله ﷻ أن يلهمنى الرشد والصواب،

وأن يوفِّقنى لإجابة هذا المطلب العزيز، وكتبت هذه الرسالة الصغيرة وأسميتها: (التوحيد فى القرآن والسنة) وقد ضمنتها ما يحتاجه كل مسلم فى هذه الناحية، حتى يكون على بينة من عقيدته التى يدين بها لله ﷻ وقد توخَّيتُ فيها السهولة والبساطة فى التعبير، وخاصة فى شرح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تتعلق بهذا الموضوع حتى يتيسر لكل إنسان أن يطَّلع عليها، وأن ينتفع بما جاء فيها.

وقد قصدت بذلك وجه الله ورسوله والدار الآخرة، سائلاً المولى ﷻ أن يجعلها فى ميزانى وميزان إخوانى الذين أشاروا بها وأعانوا على طباعتها ونشرها، وأن يكرم بها كل من يطالعها ويذكِّر بها إخوانه المسلمين، إن ربى سميع قريب مجيب وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه: العبد المنكسر القلب إلى الله ورسوله:

مُحَمَّد على سلامه

غرة شعبان المبارك ١٤٠٧هـ

الموافق ٣٠ مارس ١٩٨٧م

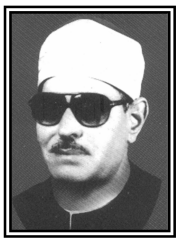

نبذة عن حياة فضيلة الشيخ
مُحَمَّد على سلامة
(مدير عام مديرية أوقاف بورسعيد سابقاً)

أولاً: حياتـه:

ولـد فـضيلته فى العـشرين مـن نـوفمبر سـنة ألـف وتـسعمائة وثمانيـة وعـشرين ميلاديـة بمدينـة ههيـا بمحافظـة الـشرقية، وحفـظ القـرآن الكـريم، وأتمَّ تجويـده وقراءتـه بالقراءات السبع المتواترة فى صباه، ثم التحق بمعهد الزقازيق الدينى، وأتمَّ فيه دراسته الإعدادية والثانوية.

وقـد عـين إمامًـا فى وزارة الأوقـاف بالثانويـة فى محافظـة أسـوان عـام ١٩٥٤م بعـد مـسابقة عقـدتها الـوزارة لـذلك، والتحق بكلية أصول الدين التابعة للأزهر الشريف بالقاهرة، حـتى حـصل فيهـا علـى درجـة الإجـازة العاليـة فى الـدعوة والإرشـاد سـنة ١٩٦٠م، هـذا بالإضـافة إلى أنـه قـد سـلك طريق التصوف على منهج الإمام أبى العزائم ﷺ، وترقى بعد ذلـك فى المناصـب القياديـة بـوزارة الأوقـاف حـتى وصـل إلى درجة مدير عام لمديرية الأوقاف ببورسعيد سنة ١٩٧٤م.

هذا وقد فاز بالمركز الأول فى المسابقة التى أجرتها وزراة الأوقاف بين الأئمة فى كتابة موضوع يبين ناحية من نواحى عناية الإسلام بالإنسان وذلك عام ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م وكان بحثه بعنوان (حقوق الإنسان فى الإسلام) وتسلم الجائزة من السيد رئيس الجمهورية فى الاحتفال الذى أقيم بهذه المناسبة يوم الأربعاء ٢٨ من رجب ١٤١١ هجرية الموافق ١٣ من فبراير ١٩٩١م.

وكان من جملة التكريم تأدية فريضة الحج على نفقة الوزارة فى هذا العام، وقد لقى ربه أثناء قيامه بتأدية هذه الفريضة بمكة المكرمة، ودفن بالمعلى يوم الأحد ٤ من ذى الحجة ١٤١١ هجرية، ١٦من يونيو ١٩٩١ م عن عمر يناهزثلاثة وستين عاماً.

ثانياً: جهاده:

كان ﷺ من العلماء العاملين الداعين إلى الله ﷻ على بصيرة، وقد نذر نفسه وماله وحياته كلها لله ﷻ وقام فى سبيل ذلك بما يلى:

١. أسس جمعية الدعوة إلى الله فى عام

١٩٨٥م، وأعلن أن بغيتها العمل على إنهاء التمزق والتفرق الذى أصاب المسلمين، والعمل على توحيد صفوفهم وجمع شملهم، وبيان المنهج الأمثل للدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الطيبة.

٢. عالج فى زياراته التى لا تنقطع ومحاضراته التى لاحصر لها وفى كتبه، الظواهر الاجتماعية الملحَّة فى عصره، فعالج المشكلات الاجتماعية الكبرى بالوصف والتحليل ووضع العلاج المناسب لها من القرآن والسنة كظاهرة الغشّ، والمشكلات الاقتصادية، وقضية انتشار المخدرات، والمشكلة السكانية، ومعاملة غير المسلمين فى المجتمع المسلم وقيمة الوقت والتهاون بالصلاة وغيرها.

٣. تحدث عن هموم العالم الإسلامي ووصف الطريق الصحيح لإصلاح أحوال المسلمين، وبين الكيفية التى يتم بها عودة الروح الإسلامية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ومسئولية الأمة فى تبليغ الدعوة الإسلامية، ودور العلماء الأجلاء فى الرد على المستشرقين، واستشرف بروحه الصافية المعارك الإسلامية الكبرى المعاصرة ووصفها وصف

الخبير العالم ببواطن الأمور، وذلك قبل وقوعها وذلك كمعركة العاشر من رمضان وحروب العراق.

٤. عالج ظاهرة الخلاف فى الصحوة الإسلامية المعاصرة وأبان شبهاتها ووضح الطريقة السديدة فى تناولها حتى يظل شمل المسلمين مجتمعًا.

٥. لم ينس أهم أساس فى بناء المجتمع المسلم وهو الأسرة فأولاها عنايته، وبين المنهج الإسلامي فى تربية النشء، ومدى عناية الإسلام بالمرأة، وكيفية تكوين الأسرة الفاضلة والمحافظة عليها.

٦. بين بحاله وخلقه وقاله التربية الروحية الصافية التى يحرص عليها التصوف الإسلامي الصحيح، وكشف أحوال المدعين والمنتسبين زوراً وباطلاً إلى الصالحين بأن جعل القياس الصادق للحكم على أحوال الصالحين هو موقفهم من الشريعة المطهَّرة وموقف الشريعة منهم.

ثالثاً: تراثه العلمى:

ترك ﷺ ستة وعشرين كتابًا تشمل كل نواحي الحياة

الإيمانية فى المجالات الآتية:

أولا: الفتاوى والأحكام:

١. مصابيح على طريق الإيمان (ثلاثة أجزاء).
٢. من منابع الدين الحنيف.
٣. حكمة الحج وأحكامه.
٤. الصوم عبادة ومجاهدة.

ثانيًا: العقيدة الإسلامية:

٥. التوحيد فى القرآن والسنة.
٦. علامات وقوع الساعة.
٧. حوار حول غوامض الجن.
٨. مواقف بعض الأنبياء والرسل فى القرآن الكريم.
٩. أيام الله.
١٠. شعب الإيمان.
١١. الإسراء معجزة خالدة.

ثالثًا : الأسرة المسلمة:

١٢. توجيهات فى بناء الأسرة.

١٣. حقوق الإنسان فى الإسلام.
١٤. قبس من معانى سورة النور.
١٥. خواطر إيمانية حول تنظيم الأسرة والمشكلة السكانية.

رابعا: الدعوة الإسلامية

١٦. كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله؟
١٧. الإنسان الوسط.

خامسًا: التصوف الإسلامى.

١٨. الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين.
١٩. أنوار أهل التحقيق فى وصول أهل الطريق.
٢٠. عبادة المؤمن اليومية.
٢١. قطرات من بحار المعرفة.
٢٢. شرح الفتوحات الربانية فى الصلوات على خير البرية للإمام السيد مُحَمَّد ماضى أبي العزائم.
٢٣. الجواب الشافى على أسئلة الحكيم الترمذى فى كتابه ختم الأولياء.
٢٤. ندوة عن التصوف.

٢٥. بريد إلى القلوب (جزءان).

سادسا: الحديث الشريف:

وقد شرح ﷺ مائة واثنين من الأحاديث الشريفة بلغة مبسَّطة سهلة وقدمها فى حلقات بإذاعة القناة وجمعت فى كتاب من جزئين أسماه:

٢٦. من هدى النبوة (جزءان).

سابعًا: تراثه الصوتى:

حبا الله عزَّ وجلَّ الشيخ ﷺ بصوت روحانى كان يرتل به كلام الله عزَّ وجلَّ النورانى أثناء دروسه وخطبه، فيترك فى نفوس السامعين أثرًا بليغًا لرقته وخشيته.

وقد سمعه الدكتور/ عبد المنعم النمر عندما كان وزيرًا للأوقاف أنذاك أثناء زيارته لمدينة بورسعيد؛ فطلب منه أن يقوم بعمل تسجيل كامل للقرآن الكريم على شرائط، فقام ﷺ بهذا التسجيل على واحد وأربعين شريطًا.

هذا غير الكم الهائل من شرائط التسجيل المسجل عليها دروسه الدينية فى كافة المناسبات الدينية، والموضوعات

الإسلامية، والآداب الربانية، والتربية الروحانية.

رحم الله فضيلة الشيخ مُحَمَّد على سلامة رحمة واسعة، وأجزل له الثواب، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير فى الدنيا والآخرة.

ومن أراد المزيد عن سيرته فليطالع كتابنا:

" الشيخ مُحَمَّد على سلامة سيرة وسريرة "[٢].

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

فوزي مُحَمَّد أبوزيد

رئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله

٢الناشر : دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ المعادى القاهرة، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠

تمهيد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد، المنزَّه عن الشريك وعن الزوجة والولد، المُقدَّس عن كل ما يخطر بالعقل والوهم والخيال، والصلاة والسلام على أوَّل من وحَّد الله ومجَّده، وعَبَدَ الله وقدَّسه، سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه ومن والاهم إلى يوم الدين.

لقد فرض الله على الإنس والجن والملائكة توحيده وتقديسه، فأنزل جلَّ شأنه فى كتابه العزيز صفاته وأسماءه التى لم يستطع العقل أن يهتدى إليها بنفسه.

وأوجب علينا فى كثير من آيات الكتاب العزيز أن نعتقد فى الله كلَّ خير وكلَّ كمال، وكلَّ عظمة وجلال، وكلَّ معروف وبرٍّ وإحسان، وكلَّ عطف ورحمة وحنان، لأنه جلَّ شأنه الإله الذى خلق جميع العالمين، وربَّاهم على نعمه وفضله وآلائه.

وبإذن الله وتوفيقه سنوضح حقيقة التوحيد فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسول الله ﷺ ، وإليك هذا التوضيح:

التَّوحيد فى القرآن

أولاً:

قال الله تعالى فى سورة البقرة:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

هذه الآية الشريفة تقرِّر أن الإله الذى خلق الخلق من العدم، وأمدَّهم بكل أسباب الحياة من داخل ذواتهم ومن خارجها، هو:

- إلهٌ واحدٌ لا شريك له، ولا مساعد له، ولا مثيل له، ولا ضدَّ له، ولا صاحبة له، ولا ولد له.
- بل هو إلهٌ واحدٌ فى ذاته، لا يتركب ولا يتجزأ.
- واحد فى أسمائه التى لم يتسمَّ بها أحدٌ فى الحقيقة غيره، وإن تسمَّى بها أحد من الخلق فهو على

سبيل المجاز.

- واحدٌ فى صفاته فلم يتصف بها أحد سواه، وإن اتصف بها أحد من خلقه فذلك مجاز لا حقيقة.
- واحدٌ فى أفعاله ليس لأحد فعلٌ معه جلَّ شأنه، فهو الفعَّال لما يريد، وأما أفعال الخلق فهى بإرادة الله وقدرته، وهم سببٌ فقط لمباشرتهما وإبرازها.

وهذه الآية الشريفة ردَّتْ على الكافرين والمشركين، والملحدين والزنادقة، وعلى الدهرية والشيوعية، وعلى النصارى واليهود، وعلى الصابئة والمجوس، وغيرهم من أهل الملل الباطلة؛ ردَّت عليهم زعمهم وافتراءهم فى شأن وحدانية الإلوهية، حيث قد ضلُّوا فيها ضلالاً بعيدا.

ولنا أن نقول لهم جميعا: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!، فإن الله أخبر العالم كلَّه بهذه القضية – قضية الإلوهية – ولم يبرز حتى الآن منازعٌ له فيها، فَلَمْ يدَّعِ أحدٌ أنه إله منذ بدء الخليقة إلى اليوم، وإن ادَّعى أحدٌ ذلك فهي دعوى باطلة لأنها لا دليل عليها.

ولقد أقام الله الدليل بعد الدليل للعالم أجمع على ألوهيته وعلى أحديته، بهذا الواقع الذى يعيش فيه كل موجود من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما، وأنه صنعته وإيجاده، وأن هذا العالم مربوبٌ لعظمته، مقهورٌ لجبروته، قائمٌ بقدرته، حيٌّ بإمدادته، مسيَّرٌ بحكمته، فقد قال ﷻ:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة]

فإن الذى فعل كل ذلك هو الإله حقًّاً، الذى تخضع له الرقاب، وتُذَلُّ له الأنفس، وتوحِّده العقول، وتؤمن به القلوب، وتُطيعه الجوارح.

❁ ومعنى ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾:

أى أمواتاً فى عناصر المادة، قبل نفخ الرُّوح فيكم، وإن كان للمادة نموٌ وتطورٌ فى رحم الأم لكنها ليست كالحياة بعد نفخ الروح فيها، وإنما تبدأ الحياة الحقيقية من ساعة أن ينفخ

الله الرُّوح فى هذه العناصر، فتحيا وتتحرك بإذن الله.

۞ وهـذا معـنى ﴿ فَأَحْيَـٰكُمْ ﴾: أى أحيـاكم بـنفخ الرُّوح فيكم وكنتم أمواتاً قبل ذلك.

۞﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾: بعد إنقضاء أجلكم فى الدنيا.

۞﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾: يوم البعث والنشور.

وبذلك يتبين أنَّ الله أحيا الإنسان مرتين وأماته مرتين، وإن الذين يقولون ((إن هى إلا أرحامٌ تدفع، وأرضٌ تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر))، لم يفكروا أبداً !!!

ذلك لأنه لو كانت الأرحام تلد وتدفع بطبيعتها ومن نفسها من غير إرادة الله وقدرته، لدفعت كل الأرحام التى يطرقها الفحل، لكننا نجد كثيراً من الأرحام لا تلد مع توفر الدواعى والأسباب.

إذاً فالأرحام لا تدفع من نفسها، بل بقوة غيبية فوق الأسباب، لها السلطان القوى، والمشيئة الكبرى فى هذا الأمر. قال الله تعالى فى سورة آل عمران:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾

وقال تعالى فى سورة الشورى:

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

ثم إنه لو كانت الأرحام تلد بطبيعتها لكان الأولاد المولودون من أب وأم واحدة متساوين فى الصورة واللون والقامة والعوارض الأخرى !! لماذا؟

لأن المصنع الذى ينتج واحد!، والمادة التى تصب فيه واحدة!، ولكننا نرى كلَّ واحد من أبنائهما له سمتٌ وصورةٌ وكيانٌ مخصوصٌ لا يشاركه فيه أحدٌ من إخوته، فكل واحد منهم نسيج وحده، لم تلده الأم إلا مرةً واحدةً، بل وكذلك لم

يلد أحدٌ من الأمهات مثله أبداً.

قال الله تعالى:

﴿ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم]

ولقد كان هذا الإله القوىُّ القادر، العليم الخبير، له الصفات العظمى والأسماء الحسنى التى أخبر بها عن نفسه، وعلى لسان رسله وأنبيائه، لنعرفه سبحانه وتعالى بها، ونعبده جلَّ شأنه بها.

۞ وينهى الله تعالى الآية التى تناولناها من سورة البقرة والتى بدأنا بها حديثنا بقوله :﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ :

يعنى الذى بلغت رحمته بعباده، وعطفه عليهم، وإحسانه إليهم، مبلغاً عجزت العقول الكاملة عن تصوره، وقد أفاض الله عليهم هذه الرحمة فى الدنيا والآخرة.

ثانيـــاً:

قال الله تعالى فى الآية ٥٥ من سورة البقرة:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾

فقد وصف الله نفسه فى هذه الآية الشريفة بالإلوهية وبالحياة وبالقيومية.

❁ ومعنى قوله تعالى ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾:

- أن الحياة صفة ذاتية له سبحانه وتعالى.
- وأنه سبحانه واهب الحياة لجميع الخلائق التى قدَّر الله لها أن تكون حيَّة فحيت بذلك.
- فهو جلَّ شأنه حىٌّ فى نفسه، ومفيض الحياة على غيره، فكلُّ حيٍّ استمد حياته منه سبحانه وتعالى، لأنه جلَّ شأنه المُحيى لكل الأحياء، وقد كانوا موتى وعدماً قبل إحياء الله لهم.

❁ ومعنى قوله جلَّ شأنه: ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾:

- أى القائم بذاته.
- المستغنى عن جميع مخلوقاته.
- والقائم على كل كائن فى السموات والأرض وما بينهما، بالقهر والهيمنة، والرعاية والعلم والإحاطة.

❁ وقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾:

والسِّنة هى الغفوة التى تأخذ الإنسان فى أول النعاس، فتطرف بها العين لحظة ثم يفيق الإنسان بعدها.

والله ﷻ لا تعتريه مثل هذه الغفوة ولا أقل منها، فإنه لو وقع منه جلَّ شأنه ذلك لاخْتَلَّ نظام هذا الوجود، الذى يقوم الله بتدبيره بعد إيجاده، فسبحان من لا يغفل ولا ينام.

وإذا انتفت السِّنَة عنه سبحانه وتعالى فقد انتفى عنه النوم بالطريق الأوْلَى، لأن النوم هو استغراق جميع المشاعر والحواس فى الغفلة وعدم الإدراك.

ثالثـــــاً:

قال الله تعالى فى سورة آل عمران:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

وفى هذه الآية الشريفة شهادة الله لنفسه بالألوهية، ونفيها عن كل من سواه وما سواه، ومَنْ أعظم شهادةً من الله؟ لا أحد!.

وفى الآية أيضاً شهادة الملائكة بإلوهية الحقِّ تبارك وتعالى، ونفيها عن كل شئ غيره.

والملائكة هم القائمون بتدبير هذا الكون بإذن الله، وهم أقوياء وأشداء، لو أن مَلَكاً منهم نشر جناحه على الدنيا لغطاها كلَّها، ومع ذلك فهم مربوبون لعظمة الله، مقهورون لجلال الله، وفى عظيم الرهبة والهيبة من سلطان الله،

قال الله تعالى فيهم:

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم]

فلو كان هناك آلهة غير الله لكانوا أحقَّ بها، لما ذكرنا من شدتهم وقوتهم وعظم خلقتهم، وتدبيرهم لهذا الكون، لكنهم عبادٌ أذلاَّء لله.

ولو لم يشهدوا بإلوهية الله لحققهم الله، لأنهم فى معاينة اليقين الحقّ، لصفاء عناصرهم، وكمال عقولهم.

وثالثاً: وفى الآية الكريمة شهادة العلماء الراسخين بإلوهية الله ﷻ ، ونفيها عن كل ما سواه.

وذلك لأنهم نظروا بعقولهم فى أنفسهم وفى الكائنات من حولهم، وفكَّروا فيها مليًّا، فوجدوا أن تعدد الآلهة لا يمكن أن يقوم معه هذا الوجود العظيم، ولا هذا الصنع البديع الحكيم، ولا ذلك التدبير العجيب، فشهدوا وأقرُّوا بإلوهية الواحد الأحد القوى القادر، إذ:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

[٢٢ الأنبياء]

أى لو كان فى السموات والأرض آلهة غير الله لفسدت السموات والأرض، ولم تكن على هذا النظام البديع، وذلك :

- لأن لو كل إله منهم يريد أن يخلق ويبرز قدرته وقوته، فيقع بينهم النزاع والقتال، فلا يوجد شئ من هذا العالم.
- ولا يجوز الاتفاق فيما بينهم على إيجاد هذا العالم، لأنهم لو اتفقوا لثبت عجزهم جميعاً، لعدم قدرة كلِّ واحد منهم على إيجاد شئ بنفسه، والعجز على الإله محال.

ولذلك لم يكن هناك إله إلاَّ الله، الذى شهد به الله والعلماء والملائكة، وشهادة العلماء تفرض على غيرهم من الناس الإقرار والإيمان بما شهدوا به؛ لأن العوام والجهَّال والأميين لا يقدرون على النظر والتفكر والاستدلال مثل

العلماء، فوجب عليهم أن يؤمنوا بما شهد به العلماء.

وهذا الإيمان ليس تقليداً للعلماء، وإنما هو تسليمٌ لهم فى كَشْفِهِم وشُهُودِهم، لأن إيمان العلماء وتوحيدهم عن شهود ويقين، وإيمان غيرهم من العامة عن تسليم وإذعان، ولذلك قال الله تعالى :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[١٨ آل عمران]

يعنى :

- شهد الله لنفسه بالإلوهية.
- وشهد بها الملائكة.
- وشهد بها أولوا العلم كذلك، لأن العلم كَشَفَ الحقائق لهم.

والشهادة فى مثل هذا المقام تكون بعين البصيرة والعقل، بعد الفكر والتدبر، وهذا لا يتأتى إلاَّ من العلماء الراسخين، حيث لديهم القدرة على ذلك دون غيرهم.

❁ وشهادة الله والملائكة والعلماء بإلوهية الله ونفيها عن غيره، قرَّرتْ أن هذا الإله :

﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾

- أى قائماً بالحقِّ والعدل.
- وقائماً بالقوة والقهر.
- وقائماً بالرحمة والفضل.
- وقائماً بالخير والبرِّ.

❁ وقررت هذه الشهادة أيضاً أن هذا الإله:

﴿هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾

يعنى أنه سبحانه وتعالى جلَّ شأنه:

- لا يغلبه أحد.
- ولا يفوته شئ.

❁ وأنه سبحانه هو:

﴿ ٱلْحَكِيم ﴾

- جعل كل أفعاله وأقواله لحكمة سامية جلَّت عن الإدراك.
- وأنه قد وضع كلَّ شئ فى موضعه المعَّد والمناسب له، من غير زيادة ولا نقصان، فقد اتسمت كل شئونه بالتمام والكمال، والحسن والإتقان.

فقد شهد الله والملائكة والعلماء أنه جل شأنه:

﴿ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران]

وكفى بالله تعالى والملائكة والعلماء شهوداً على هذه القضية، وإن أى كلام يتعارض مع هذه الشهادة الكبرى لا يعبأ به، لأن غير هؤلاء الشهود لا تقبل شهادتهم فى هذا المقام، حيث أنهم من أهل العجز والجهل الذين لم يقدروا على فهم شئ من حيثيات هذه القضية حتى يقرروه ويشهدوا به، قال الله فى محكم التنزيل:

﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [٥١ الكهف]

أما العلماء فقد أشهدهم الله سبحانه وتعالى خلق الكائنات تكريماً لهم وتقديرا لعلمهم.

وعليه؛ فالتوحيد هو اعتقاد القلب:

- أن الله واحدٌ أحد، لا شريك له فى ملكه وملكوته.
- وأن الله له التصريف المطلق فيهما، لا رادَّ لأمره ولا معقِّب لحكمه.
- وأن الله فردٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد[٣].

❁ ومعنى ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾:

لا يأكل ولا يشرب ولا يتزوج ولا يزول ولا يتغير ولا

٣ إشارة إلى سورة الإخلاص: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ ولذا أورد الشيخ معانى كلماتها أيضاً.

يتحول.

❁ ومعنى ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾: لم يكن له ولد ولا بنت، ولا زوجة ولا صاحبة.

❁ ومعنى ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾: لم يكن له أب ولا أم.

❁ ومعنى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: لم يكن له مثيلٌ يضاهيه، ولا شبيهٌ يقاربه، ولا ندٌّ يكافئه، ولا ضدٌّ يعاديه، ولا مشيرٌ يأخذ رأيه، ولا وزيرٌ يعينه فى شئ، ولا صاحبٌ يرافقه.

وعلى ذلك فإن التوحيد هو:

- تفريد الله بالخلق والإيجاد، والرزق والإمداد، والإحياء والإماتة، والتقدير والتدبير، والتصريف التام فى جميع الكائنات، فى السموات والأرض وما بينهما، وفى الدنيا والآخرة.
- ثم بعد ذلك تنزيه الله عن كل علَّة وغرض، وعن كل نقص وهزل، وعن كل لهو ولعب، وعن كل ما

لا يليق بجنابه المُقدَّس عزَّ شأنه.

- والتوحيد كذلك هو اعتقاد القلب بأن الله متصفٌ بكل صفات الكمال والجلال والجمال، من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والحياة، والقدم والبقاء، والمخالفة لجميع الكائنات، والقيام بالنفس، وغيرها من الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه فى كتابه العزيز، أو فى سنَّة نبيه ﷺ .

- والتوحيد أيضا هو أن يعتقد المؤمن أن الله له أسماء كريمة، ذكر لنا منها تسعة وتسعين إسماً، وله فوق ذلك من الأسماء ما لا يعلمه إلاَّ الله ﷻ، وما أخبر به رسله وأنبياؤه وخاصة عباده من هذه الأسماء الإلهية المقدسة، ولا يكفى العلم بهذه الأسماء والصفات التى سبق ذكرها آنفا فى حقائق التوحيد، وإنما يجب على كل مسلم أن يعتقدها بقلبه ولو إجمالاً، حتى يصحَّ توحيده لله، وإيمانه به سبحانه وتعالى.

۞ أما قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [١٤ هود]

فهذه الآية الشريفة توضح أن الواجب على المؤمنين هو تحصيل العلم بالله أولاً من القرآن والسنة، ومن العلماء العاملين حتى يصحِّحوا عقيدتهم فى الله، فيؤمنوا بما علموه عن الله، ويصدقوا بأخبار الله وشئونه، وصفات الله وأسمائه، وبكل ما جاء عن الله ﷻ.

وكذلك تفرض هذه الآية على المؤمنين أن يعلموا بأن القرآن نزل بعلم الله وبأمره، ونزل بإرادة الله وقدرته، ونزل بتدبير الله وحكمته، ونزل لإسعاد الناس فى الدنيا والآخرة.

هذا وإن العلم بالله يزيد الإيمان ويقويه، فضلاً عن تأسيسه وإرساء دعائمه، وأن العلم بالله لا نهاية له، لأن الحقَّ جلَّ شأنه لا نهاية له، كما أنه لا يكفى قول الإنسان: (لا إله إلا الله)، لأن القول حركة اللسان وتلفُّظه، والتوحيد

هو اعتقاد القلب وتيقنه.

أما قول اللسان فإنه فرض على كل مسلم ومسلمة أن يقول ذلك، وهذا لقول سيدنا رسول الله ﷺ :

{ أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا }[٤]

لأن القول هو الدليل على ما فى القلب من الاعتقاد، قال الحكيم العربى:

إِنَّ الكَلامَ لَفِى الفُؤادِ وَإِنَّمَا
جُعِلَ اللسَانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيلا

---

٤ رواه البخاري في تاريخه، والطبراني في الكبير عن مُدْرك بن منيب.

التوحيد فى السنّــة

إن التوحيـد سـهل وبـسيط، ويكفـى فيـه أن يعتقـد الإنسان: أن الله واحدٌ لا شريك له.

كما يكفى للدخول فى الإسلام أن يقول الإنسان:

لا إله إلاَّ الله مُحَمَّدٌ رسول الله.

فقد كانت كلمة (لا إله إلاَّ الله مُحَمَّدٌ رسول الله) هى الفارق بين الإسلام والكفر.

قال رسول الله ﷺ :

{ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله. وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ. فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا. وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله }[٥]

والناس الذين ورد فيهم هذا الحديث الشريف هم

٥ صحيح مسلم عن أبي هريرة.

الذين قاتلوا رسول الله ﷺ، وقاتلوا المسلمين من أجل هذه الكلمة، وهم سكان الجزيرة العربية، ويوضح ذلك قوله الله تعالى فى سورة الحج:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾

فلأنهم كانوا يقولون (لا إله إلاَّ الله):

عـذَّبوهم واضـطهدوهم مـن أجلهـا، وطـردوهم مـن ديارهم وأموالهم من أجلها، وتحزَّبوا وتمالأوا على المسلمين من أجلها، وحاربوهم واعتدوا عليهم من أجلها.

أما عامة الناس من بقية سكان الأرض فكان رسول الله ﷺ يبعث إليهم رسلاً وكُتباً يدعوهم بها إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

فمن أجاب فله الجنة.

ومن أعرض فعليه وزره، ووزر مَنْ وراءه من الشعوب

والأمم الذين صدَّهم عن الإسلام.

ولما قامت الحروب الإسلامية بين المسلمين وغيرهم، كان بمجرد أن يقول العدو (لا إله إلاَّ الله):

- يُرفع عنه السيف.
- وتُحفظ له حرمته وكرامته.
- ويُصبح له كل ما هو للمسلمين من أمان وحقوق.
- وعليه ما عليهم من تبعات وتكاليف.

لا فرق فى ذلك بين مَنْ أسلم الآن، وبين مَنْ أسلم فى عصر الإسلام الأول.

ولم يكن هذا القتال تشفيًّا أو انتقاماً، و وإنما كان:

- دفاعاً عن حرية العقيدة.
- ودفعاً للظُّلم الذى وقع على المستضعفين والمغلوبين على أمرهم.
- وحفاظاً على كرامة المسلمين.

- وردًّاً للإعتداء عنهم.

وقد كان هذا القتال لا يتعدى المحاربين والمقاتلين، بل كان مقصوراً عليهم، لا يتجاوزهم إلى غيرهم بحال من الأحوال.

وذلك لأن المقصود بالحرب فى الإسلام هو إقرار السلام والحرية والعدالة بين الناس، وليس من شأنه الإبادة أو الإفساد فى الأرض كما هو شأن الحروب الآن.

فقد كانت الحرب فى الإسلام كالعمليات الجراحية التى تستأصل الأدواء والأمراض المستعصية من أجسام الشعوب، وتعيد إليها الصحة والعافية والأمن، قال تعالى:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة]

التوحيد الخالص

هو تطهيرُ القلب من الآراء الفاسدة، ومن الشك والأوهام الباطلة، وعقدُ القلب على العقيدة الحقَّة، قال تعالى فى سورة الكهف:

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾

ومعنى ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾:

شددنا عليها برباط متين قوى، بحيث لا يتسرب منه شئ من حقائق التوحيد والإيمان التى ملئت بها قلوبهم.

قال رسول الله ﷺ :

{مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُخْلِصاً دَخَلَ الجنَّة، قِيلَ: وَمَا إِخْلاَصُها؟ قال: أَنْ تَحْجزَهُ عَنْ

مَحَارِمِ الله }[٦]

ومعنى الإخلاص بها:

أن يراقب القلب معانيها وأسرارها:

- من استحضاره معية الله.
- ورعايته جلال الله.
- والخوف من مقام الله.
- والمسارعة فى مرضاة الله.
- والبعد عن محارم الله.
- بحيث يشعُّ من قلبه نور (لا إله إلاَّ الله)، فيملأ عليه سمعه وبصره وعقله وجميع جوارحه فيسير بين الناس بهذا النور، ويكون هادياً مهدياً.

وهذا هو إخلاص التوحيد لله.

اللهم أخلصنا إليك بسرِّ (لا إله إلاَّ الله)، وبحقِّ نبيِّك مُحَمَّد ﷺ .

---

٦ رواه الحاكم والطبرى عن زيد بن أرقم.

ركائز التوحيد

هذا وإن توحيد المؤمن لله يستلزم أموراً كثيرة، هى كالآتى:

أولا:

التصديق بوجود الله، وبجميع صفاته وأسمائه وأفعاله، التى ورد بها الشرع الشريف.

ثانيا:

الإيمان بأن الله أرسل رسلاً كثيرين إلى عباده ليخرجوهم من ظلام الكفر إلى نور الإيمان، كان آخرهم سيدنا مُحَمَّد ﷺ .

ثالثا:

الإيمان بأن لله ملائكة هم جند الله يقومون بتنفيذ أوامره سبحانه وتعالى، وينصرون رسل الله وأنبياءه والمؤمنين على أعداء الله.

رابعا:

الإيمان بأن الله أنزل على رسله كتباً وصحفاً فيها شرائع الله ووصاياه للبشرية، كان آخر هذه الكتب القرآن المجيد الذى جعله الله جامعاً لكل ما فى هذه الكتب والصحف من خير، وزاد عليها ما تحتاج إليه الإنسانية إلى يوم القيامة، لأن الله ختم به الكتب السماوية كما ختم بسيدنا مُحَمَّد ﷺ جميع الأنبياء.

خامسا:

الإيمان بأن القضاء والقدر خيره وشره من عند الله عزَّ شأنه، لأن كل شئ فى هذا الوجود بإرادة الله ومشيئته، قال ﷻ :

{ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ }[٧]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر]

٧ الديلمي عن أبي الدرداء رضى الله عنه.

وقال جلَّ شأنه:

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٣٠ الإنسان]

سادسا:

الإيمان باليوم الآخر وهو اليوم الذى يجازى الله فيه المحسن بالإحسان وزيادة، ويجازى المسئ أو يعفو عنه وهو العفو الغفور، وهذا اليوم هو يوم القيامة، وأنه آتٍ لا ريب فيه.

ولقد سأل سيدنا جبريل عليه السلام سيدنا رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال:

{ أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ }[٨]

وقال الله تعالى فى [٢٨٥ البقرة]:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ

٨ رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾

ومعنى ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾:

لا نفرق بينهم فى الإيمان بهم، فإن المؤمن يؤمن بجميع الرسل الذين ذكرهم الله فى القرآن الكريم وذكرهم رسول الله فى حديثه الشريف، على أنهم جميعاً مرسلون من الله ﷻ إلى عباده، لهدايتهم للحقِّ وللخير والرشاد، وأنهم بلَّغوا الناس ما أرسلهم الله به إليهم.

ولا يفرق المؤمن بين أحدٍ منهم فى الإيمان، وإن كان يجوز أن يفرِّق بينهم فى الحبِّ والتعظيم والاحترام، فكلُّ رسول له فى قلب المؤمن منزلة ودرجة غير الآخر، على قدْرِ علمه به، ومنفعته منه، والله ورسوله أعلم.

سابعا:

يعتقد بأن سيدنا مُحَمَّد ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين، فليس هناك نبيٌّ ولا رسولٌ بعده إلى يوم القيامة.

أما نزول سيدنا عيسى عليه السلام من السماء آخر الزمن فإنه لا يأتى معه برسالة جديدة يبلغها للناس، فإن رسالته قد انتهت برفعه إلى السماء.

ولكن نزوله سيكون معجزة لرسول الله ﷺ وتصديقا لإخباره بذلك، ولقد بين رسول الله ﷺ مهمته التى ينزل من أجلها، وهى أنه:

- سيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية.
- ولا يقبل من أحد إلاَّ الإسلام.
- ويدعو الناس إلى ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ .
- وأنه سيقضى على المسيخ الدجال مع المسلمين.
- وأن سيدنا عيسى عليه السلام سيكون تابعا لرسول الله ﷺ وناهجاً على نهجه الشريف كبقية المؤمنين رضى الله عنهم.
- وأنه سيصلى خلف إمام المسلمين عند نزوله من السماء إيذانا بأنه تابع لرسول الله ﷺ .

بساطة الإيمان

إن الإيمان بالله فى بساطته ووضوحه حسب ما ورد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، برئ من كل تعقيد ورموز وطلاسم.

ولقد أدركه الرجل الأميّ الذى يعيش فى الصحراء بعيداً عن العلم والحضارة والعمران، فقال فى بساطة:

{ البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، وهذه أرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير }

وجاء الإسلام ليخرج الناس من سجن التقليد الأعمى، ومن الخرافات والأوهام الفاسدة، ومن ظلام الطلاسم والتعقيدات التى وضعها رجال الدين المسيحى واليهودى والبوذى، وغيرهم من ضُلاَّل الملاحدة والفلاسفة

والزنادقة، ومن جهالة عبَّاد الكواكب والشمس والقمر والنار والإنسان والحيوان وغيرهم، إلى دين الفطرة السليمة، والعقل المتحرر من التعصب للآباء والأجداد، المتطهر من الآفات والشهوات، وهو دين الله الذى إرتضاه لنفسه ولرسله وملائكته والإنس والجن.

وكذلك جاء الإسلام ليضع الناس على الطريق المستقيم الموصل إلى خيرى الدنيا والآخرة، وليكشف للناس غيوب المستقبل، وأسرار النواميس الإلهية، وأحكام الشرائع الربَّانية، فى يسرٍ وسهولة، وفى رفق ورحمة، وفى سكينة واطمئنان.

وقد دلَّل القرآن على بساطة الإيمان بقول الله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

[١٧-٢٠الغاشية]

فهذه الآيات الكريمة:

توجب على العقل أن ينظر ويتفكر فى الكائنات التى ذكرتها تلك الآيات، وكيفية تسخيرها للإنسان، ليخرج من ذلك بضرورات عقلية ثلاث:

أولاً:

الإيمان بوجود الإله القادر الخلاَّق، العليم المبدع الحكيم، الرزاق الكريم.

ثانياً:

الإيمان بأن هذه الكائنات مصنوعات الله جلَّ شأنه، وأنها قائمة بقدرته، ومسيرة بحكمته، ومقهورة لعظمته، لا يشاركه أحدٌ فى أصغر ذرة منها.

ثالثاً:

الإيمان بأن الإنسان فى أمسِّ الحاجة إلى هذه الكائنات التى خلقها الله له وسخرها إليه. إذ لولاها لم يكن هناك حياة للإنسان.

دور الأسـباب فى حياة النـاس

المسلم يعتقد:

أن الماء سبب للرى والحياة، ..... ويعتقد بأن الذى يروى ويحيى هو الله جلَّ شأنه.

وأن الهـواء سـبب للتـنفس واسـتمرار الحيـاة بواسـطة تنفس الكـائن الحىّ، ... لكنه يعتقد أن منفِّس الأنفاس ... هو الله ﷻ .

وأن النار سبب للإحراق وإذابة المعادن وطهى الطعام وغيره، .... لكن ذلك بأمر الله جلَّت قدرته.

وأن الـتراب علَّـة لتكـوين الكائنـات الماديـة، .... وأن المكوِّن هو الله جلَّ شأنه....

ولذلك يرى المؤمن بعينين:

- **عين ترى الأسباب والمادة.**
- **وعين ترى مسبب الأسباب جلَّ جلاله.**

وقد جعل الله هذه المنافع فى تلكم الأسباب:

لينتفع بها الإنسان، ويقضى بها مآربه، ويشهد فى هذه الأسباب حكمة الله فى إيجاده وتسخيرها للإنسان، وذلك قبل أن يخلقه الله بآلاف السنين، فإذا جاء إلى الدنيا وجد فيها كل ما يحتاجه مودَعاً هذه الأسباب.

وإن المسلم يؤمن بأن هذه الأسباب تؤدى تلكم المنافع بإذن الله .... لأنها فى كثير من الأحيان تتوقف تماماً عن أداء هذه المنافع!! ولا تستطيع أداءها!!، ... لأن الله لم يأذن لها فى ذلك :

- كما توقفت النار عن إحراق سيدنا إبراهيم عليه السلام.
- وتوقف الماء عن الجرى والسيلان عند عبور سيدنا موسى عليه السلام مع قومه البحر الأحمر.
- وجريان الماء العذب من بين أصابع النبى ﷺ حتى ارتوى الجيش العرمرم من هذا الماء وملأ قربه وأوانيه.

- وتوقف السكين الحاد عن ذبح سيدنا إسماعيل عليه السلام.
- وتوقف الحوت عن هضم سيدنا يونس عليه السلام ولفظه من جوفه على الشاطئ.
- وتوقف الكفار عن إيذاء رسول الله وقتله ليلة الهجرة مع توفر الدواعى والأسباب وتحفزهم لذلك.

وهذا لأن الأسباب لا تفعل من ذاتها ولا من نفسها، وإنما تفعل بقدرة الله ﷻ وإرادته، وبأمره لها أن تفعل.

فالأسباب وسائل فقط يستعين بها الإنسان على الوصول لغايته وقضاء حاجته.

هذا وإن الله ﷻ قد يفعل الأشياء بدون أسباب:

كما كان يُطعم رسول الله ﷺ ويسقيه بدون غذاء وشراب مادى، وذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام:

{ إِنِّي أَبِيت عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي }[٩]

قال ذلك لأصحابه عندما قلَّدوه فى مواصلة الصيام.

وكما بدأ الله خلق هذا الكون من العدم المحض من غير علة ولا سبب، قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

فَمَنْ شَهِدَ الأَسْبَابَ تَفْعَلُ فَهُو فِي
ضَلالٍ مُبِينٍ قَالَهُ القُرْآنُ

وَمَنْ شَهِدَ الأَسْبَابَ تُنْبِي بِأَنَّهَا
أَوَاسِطٌ فِيهَا الفَضْلُ والرِّضْوانُ

وَهَذا شُهُودُ العَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ
لَقَدْ خَصَّهُمْ فَضْلاً بِهِ الرَّحْمَنُ

فكلُّ مؤمن يعتقد أن الأسباب لا تفعل شيئاً بنفسها، وأن الفاعل لجميع الأشياء هو الله ﷻ، قال تعالى [١٧ الأنفال]:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾

٩ رواه البخارى بلفظ: (إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى).

وقال تعالى فى [١٧ الأنفال]:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾

فلقد نفت الآية الأولى الرمى عن رسول الله ﷺ بعد أن أثبته له، حتى تقوم الأسباب بدورها الذى أعدَّها الله له، ثم قررت الآية أن الذى رمى فى الحقيقة هو الله ﷻ .

وكذلك نفت الآية الثانية عن المؤمنين قتل الكافرين أثناء الحرب وأثبتت أن الله هو الذى قتلهم. هذا مع ملاحظة أن المؤمنين هم الذين باشروا القتل بأنفسهم كأسباب له، ولكن الذى قتلهم حقيقة هو الله ﷻ.

وهذه الآيات الكريمة دليلٌ أعظم على معانى التوحيد وحقيقته، وما على المؤمن إلا أن يتدبرها ويستيقن بها، فإنها من الرحيق المختوم الذى سقاه الله لأهل محبته وأهل معرفته جلَّ شأنه، حتى فنوا عن شهود أعمالهم، وعن شهود وجودهم، بشهود الحقِّ تبارك وتعالى عند قيامهم بأى عمل من الأعمال.

ومن هنا نعتقد أن كلَّ سبب وراءه المسبب عزَّ شأنه، وأن كل ما جاء فى القرآن المجيد وفى السنة المطهرة من إثبات الأعمال والأحوال والأقوال للبشر، فإن ذلك على سبيل المجاز لا الحقيقة، وأنه من باب إسنادها لأسبابها الذين كانوا سبباً مباشراً فى إيجاد الله لها.

قال الله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات]

ولقد أقام الله الأسباب ليظهر للعقل مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، ولتوجد المسببات عند مباشرة السبب لها.

لأن الأشياء إن وجدت بدون أسباب إختل نظام العقل لعدم شهود الحسِّ قدرة الله التى أوجدت الشئ من غير سبب، فتصير الحياة كلها معجزات وخوارق تدهش الألباب، وتحير العقول والأفهام، ولكن الله رفيق بعباده فوضع الأسباب رحمة بهم، حتى لا تفجأهم الأحداث بدون مقدمات وبدون وسائل، فسبحان اللطيف الخبير.

رسـوخ العقيدة فى قلب المؤمن

التوحيد مستقر فى قلوب المسلمين فلا خوف عليهم من الشرك والكفر، فأصغر مسلم موقن بإلوهية الله وربوبيته وأحديته، وأقل مسلم قد ملأ قلبه بتوحيد الله، ونطق لسانه بسورة التوحيد الخالص:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [١-٤الإخلاص]

ويقرأها فى اليوم أكثر من مرة إقراراً وإيماناً وتوحيداً لله ﷻ.

فلا خوف على المسلمين من الشرك فى أمر التوحيد.

قال رسول الله ﷺ ما معناه:

{ لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدى بالله شيئاً}

{ فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد فى

أرضكم هذه أبداً }[١٠]

والأرض التى يئس الشيطان أن يعبد بها هي أرض الإسلام، فإن أنوار الإسلام القوية محقت ظلمات الشرك والكفر من قلوب المسلمين.

ويجب على الذين يكفِّرون المسلمين فى عقائدهم، أو يكفِّرونهم بمعصية الله، أن يتَّقوا الله فى دين الله وفى المسلمين، فإن المسلم لا يكفَّر إلاَّ برفضه الإسلام الذى آمن به، أو إنكار فريضة من فرائضه التى أوجبها عليه، كأن يجحد الصلاة، أو ينكر الحج، أو يعتقد أن رسول الله ليس خاتم الأنبياء، أو يعتقد أنه ليس معصوماً من الذنوب، أو غير ذلك من القضايا التى فرض الله علينا الإيمان بها.

إن الكفر بعيدٌ جداً عن كل مسلم، كما أن الإسلام بعيدٌ جداً عن كل كافر، وإن الذى يفضِّل كافراً على مسلم فقد باء بغضب من الله، قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

{ إن قلامة ظفر المسلم خيرٌ عند الله من ملء

١٠ رواه الحاكم عن ابن عباس.

الدنيا كفاراً }

وإن الذى يكفِّر مسلماً بغير مُوجب للكفر فقد كفر بالله ورسوله، قال رسول الله ﷺ :

{ أَيُّمَا امْرِىءٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا. إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ؛ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ} [١١]

وإن الله فرض على المسلم إذا رأى أخاه قد ذلَّتْ قدمه أن يسرع إليه، ويتلطف فى إنقاذه حتى يعود إلى رشده، ويفئ إلى أمر الله، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لسيدنا أبى بكر رضي الله عنه:

{ لاَ تَحْقِرَنَّ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ صغِيرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرٌ }[١٢]

وقال ﷺ :

{ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ

١١ عن ابن عمر رضى الله عنهما متفق عليه.
١٢ من حديث الترمذى عن أبى هريرة.

يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هٰهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ. دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ }[١٣]

وكم من إنسان مسيئ لا يرى معايبه ومساوئه، وقد تعفَّن بها الجو من حوله، ولكنه يرى هفوات إخوانه فيشهِّر بهم ويكشف عوراتهم.

وكم من إنسان مريض يرى القذى الذى فى عين إخوانه ولا يرى الخشبة التى فى عينه.

وهذا الإنسان فى أمسِّ الحاجة إلى ملازمة العلماء العاملين، وتطهير نفسه بتحصيل العلم النافع منهم قبل فوات الأوان، فإنه مقيم على الكبائر وهو لا يدرى، ومتلبس بالآثام وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً.

ولا يكفى لمثل هذا الإنسان أن يطالع الكتب

---

١٣ صحيح مسلم عن أبى هريرة.

ويدرسها، بل لابد له من ملازمة أهل الخشية من الله تعالى، وأهل الأدب مع رسول الله ﷺ ، وأهل الحلم والرحمة بالمسلمين.

ولا يجوز لمثل هذا الإنسان أن يقف عند علمه؛ لأن العلم الذى لا تتزكى به النفس فهو وبال على صاحبه، فكم من عليم اللسان جهول القلب والجنان، وإن العلم لتهذيب النفوس لا لجمع الفلوس.

قال رسول الله ﷺ :

{ تَعَلَّمُوا العِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ والوَقارَ وتَواضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ }[١٤]

والعلم النافع لا يكون إلاَّ عند العلماء بالله تعالى، فهم أهل الخشية من جنابه العليِّ، وأهل الرحمة بعباد الله.

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٢٨ فاطر]

١٤ رواه الطبرانى عن أبى هريرة.

شبهات يثيرها بعض الناس

الشبهة الأولى

إن بعض الناس من المتشددين فى الدين يوهمون عامة المسلمين بأن الصلاة فى المساجد التى فيها قبور باطلة.

وهذا العمل منهم بدعة فى دين الله:

أَلَمْ يروا مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة وفيه قبره الشريف، وقبر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما؟

ألم يروا بيت المقدس وفيه مقابر الأنبياء والصالحين؟ وقد قال الله تعالى عنه:

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [١ الإسراء]

والبركة التى حوله هى مقابر الأنبياء والصالحين.

ألم يقرءوا قول الله تعالى عن أهل الكهف:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الكهف]

ومعنى ذلك يبنون عليهم مسجداً تكريماً لهم، وتقديراً لجهادهم الذى بذلوه فى سبيل الله !

ألم يعلموا أن سيدنا جبريل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة الإسراء:

{ هنا قبر موسى فانزل وصلِّ يا رسول الله }[١٥]

فنزل رسول الله ﷺ من على البراق، وصلى ما شاء الله له أن يصلى؟

ألم يروا ما عليه المسلمون من عهد رسول الله ﷺ إلى الآن، وهم يؤدون صلواتهم فى جميع المساجد على السواء، لم يفرقوا بين ما كان فيها قبر ولا ما ليس فيها!!!

وما أجمع المسلمون عليه فهو دين الله الحق.

---

١٥ متفق عليه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

فقد قال ﷺ :

{ لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلى ضَلالةٍ، فَعَلَيْكُمْ بالجَمَاعَةِ، فإنَّ يَدَ الله عَلى الجَمَاعَةِ } [١٦]

إن دين الله سَمْحٌ وسهل، ولن يشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه الدين.

ألا فليترفق هؤلاء الأخوة على إخوانهم المسلمين، ولا يبطلون دينهم، ولا يحبطون أعمالهم.

إن كل مسلم يقول فى بدء صلاته:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام]

١٦ رواه البيهقى عن أنس.

فكيف بعد ذلك نخاف عليه الشرك، أو نحكم ببطلان صلاته؟ إن هذا ليس من الدين فى شئ.

الشبهة الثانية

إن بعض المتشددين يقولون على أصحاب الأضرحة إنهم أصنام.

ألا يستحيون من الله ورسوله أن يقولوا على رجل مسلم إنه صنم؟!!

وذلك فضلاً عن أنه من عباد الله المقربين الذين شهد الله لهم بالإيمان والتقوى والولاية، قال الله تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ

﴿ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس]

أفبعد هذا التكريم من الله ﷻ لهم يرميهم أحدٌ بأنهم أصنام!!

ألم يعلموا أن الأصنام قد حطَّمها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، وقرأ قول الله تعالى:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء]

وكانت هذه الأصنام كما يعلمون أحجاراً منحوته على أشكال مختلفة، إتخذها المشركون آلهة يعبدونها من دون الله.

هل هناك أحد من المسلمين اليوم يعبد ضريحاً أو قبراً أو صاحب قبر؟!!!

حاشا لأصغر مسلم أن يفعل شيئاً من ذلك، أو يعتقد أن صاحب الضريح ينفعه أو يضره إلا بإذن الله.

إن من يرمى مسلماً ببهتان سواء كان حيًّا أو ميتاً فقد

باء بغضب من الله.

وإنى أربأ بأى مسلم أن يقترف مثل هذه الكبائر، ويظن بعد ذلك أنه يدعو إلى توحيد الله.

إن عقيدة التوحيد قد تمكنت والحمد لله من نفوس المسلمين فلا تهزها الفتن ولا العواصف القوية، لأنها أمرٌ فى القلب وفى الفؤاد لا يصل إليه شئ، حتى وإن عذِّب المسلم وأجبر على قول كلمة الكفر، فلا شئ عليه لأن قلبه مطمئنٌ بالإيمان، فلا تقدر أيَّة قوة أن تخرجه منه، وذلك فضل الله على المسلمين.

الشبهة الثالثة

إن بعض الناس يكفِّرون من يقول: مدد يا رسول الله، أو أغثنى يا سيدنا الحسين، أو يقول نظرة يا بدوىُّ، أو ما شاكل ذلك من العبارات التى يستغيث بها المسلم بالصالحين والأولياء.

وفى الحقيقة أن الحكم على أمثال هؤلاء بالكفر أو

بالشرك، فيه شططٌ كبير، وخطرٌ عظيم، لأنه حكمٌ مبنىٌّ على جهل بدين الله.

فإن هذه العبارات ليست من الأمور التى يخرج بها المسلم من الإسلام.

لأن طالب المدد أو النظرة من الولى، يعتقد أن هذا الولىَّ حىٌّ يُرزق عند الله، وأن له ما يشاء عند ربِّه من الإمداد والعطاء، وأن السائل يطلب منه ما يقدر عليه بإذن الله تعالى، كما لو طلب منه شيئاً فى حياته الدنيوية، فإنه كريم وسيعطيه ما يطلبه.

ولا حرج على فضل الله فى أن يهب هؤلاء الأحياء فى قبورهم ما ينفعون به الناس فى حياتهم الدنيوية والأخروية.

قال الله سبحانه وتعالى فى شأنهم:

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الزمر]

وقال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [١٩ الحديد]

والله على كل شئ قدير.

وأود أن أزيدك بيانا أيها الأخ المسلم فى هذا الموضوع الذى كثر حوله الجدال والنقاش بين طوائف المسلمين فأقول وبالله التوفيق:

إن الله ﷻ أمر المؤمنين أن يطلبوا من الرسول ﷺ أن ينظر إليهم، وذلك فى قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ﴾ [١٠٤ البقرة]

وطلب النظرة من رسول الله ﷺ يعنى طلب العطف والرعاية، والود والإحسان منه ﷺ ، بكل ما فى معانى

﴿ٱنظُرۡنَا﴾ من طرائف ورقائق، ومكرمات ولطائف...

ولا يجوز أن يقول أحد إن ذلك كان فى حياته الدنيوية ﷺ ، لأن الأمر للمؤمنين أين كانوا وكيف كانوا.

مع العلم أن المؤمنين فى زمنه عليه الصلاة والسلام، منهم من كان معه بالمدينة، ومنهم من كان بعيداً عن المدينة، بل إن أهل المدينة أنفسهم منهم من كان عند رسول الله ومنهم من كان بعيداً ومشغولاً بأعماله ومعاشه، ومع ذلك فإنهم يستوون مع آخر مؤمن فى هذا الأمر إلى يوم القيامة.

إذن فليس هناك فرق بين من يطلب النظرة من رسول الله ﷺ فى زمن حياته وبين من يطلبها اليوم.

ولذلك فقد وجب على كل مسلم بنص هذه الآية أن ينادى رسول الله وأن يستغيث به، وأن يسأله ما يشاء من حاجاته، فإن الله أراد بذلك أن يعرِّفنا مدى إحتياجنا إليه ﷺ فى كل وقت وحين، وأن يشهدنا بعض مقاماته عنده سبحانه وتعالى.

ومن عجب أن يقول الله لنا بعد أن أمرنا أن نطلب

النظرة من رسول الله:

﴿وَٱسْمَعُوا﴾:

يعنى ... اسمعوا هذه الأحكام والوصايا، وافقهوها وتفهَّموها، واحفظوها وتمسكوا بها، فإنه سيأتى زمان عليكم يقول أناس منكم ببطلان هذه الأحكام والآداب، فاسمعوا وتنبهوا ولا يغرنكم قولهم بعد هذا البيان.

هذا وإننى أهمس فى أذن كل مسلم وأقول له:

إن ورثة رسول الله ﷺ من العلماء العاملين، ومن الشهداء والصديقين، ومن الأبرار والمقربين، ومن الأولياء والصالحين، لهم نصيبٌ على قدْرهم مما أكرم الله به رسوله ومصطفاه ﷺ ، فإن الله ورَّثهم أعماله وعلومه، وأحواله ومقاماته، ﷺ إبقاءاً له فى أمته، وحفظاً له ﷺ فى ورثته.

إخوانى: أنا عبيدٌ ذليلٌ مسكين، وأحب لكل مسلم من الخير ما أحبُّه لنفسى، وأكره لكل مسلم من الشرِّ ما أكرهه لنفسى، وقد أوضحت بهذا البيان ما أعتقده، وما أُشهد الله ورسوله وملائكته عليه، وما أرتجيه لكل أخ من إخوانى

المسلمين، فإن العقيدة عمل من أعمال القلوب، ومعاملة خاصة بين كل مسلم وبين علام الغيوب، وإن ذرة منها تعدل الجبال من أعمال الجوارح فى الميزان يوم القيامة، فإذا صحَّت العقيدة صحَّت وقُبلت جميع الأعمال، وإذا اهتزت العقيدة خابت جميع الأعمال، وأصبح الإنسان من الخاسرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وإننى والحمد لله أعتقد أن كل مسلم خيرٌ منى عند الله ورسوله، فإننى لا أعلم ما سبق لى فى الأزل، ولا أدرى ماذا يختم الله لى به، ولكننى أثق فى رحمة الله، وأعتقد فى جنابه سبحانه وتعالى كل الخير، وكل العفو والإحسان والمغفرة، إنه عزَّ شأنه نعم المولى ونعم الإله الكريم، ونعم الربُّ الغفور الرحيم.

الشبهة الرابعة

بيان حديث سيدنا عبدالله ابن عباس الذى يقول فيه سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله }[١٧]

ما أعظم هذه التوجيهات الكريمة التى صدرت من رسول الله ﷺ للمسلمين.

وفهمى فى هذا الحديث الشريف: أن رسول الله ﷺ لم يقل لابن عباس (ولا تسأل غير الله)، فقد أمره أن يسأل الله، ولم ينهه أو يحرّم عليه سؤال غير الله، وذلك لقول الله تعالى فى [٤٣ النحل]:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وقول الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾[١٠١ المائدة]

---

١٧ رواه الطبرانى والبيهقى عن ابن عباس.

وقوله ﷺ :

{ سلونى ما بدا لكم ودعونى ما تركتم }[١٨]

وكذلك قول الرسول ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما:

{ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله }[١٩]

فلم يقل له: (ولا تستعن بغيره)، فإن الاستعانة بغير الله من صميم الدين، لقول الله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام:

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى هَـٰرُونَ أَخِى ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [٢٩-٣٢طه]

وقول الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [١٥٣ البقرة]

---

١٨ رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة.
١٩ رواه الطبرانى والبيهقى عن ابن عباس.

وقول الله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [٢ المائدة]

يعنى ليُعِنْ بعضكم بعضاً على أعمال البر، وعلى أعمال التقوى.

وقد ورد فى حديث شريف:

{ مَنْ أَعَانَ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ } [٢٠]

وقال ﷺ :

{ أحَبُّ الخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ } [٢١]

وقال ﷺ :

{ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. قِيلَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ:

٢٠ رواه مسلم عن عقبة الأنصارى.
٢١ ورد هذا الحديث برواية الطبرانى عن ابن عمر.

يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ المَلْهُوفَ } [٢٢]

من هنا يتبين أن الاستعانة بغير الله إنما هى بأمر الله ورسوله، ولا حرمة ولا كراهية فيها، ولا كفر ولا شرك فيها، فقد جعل الله كل شئ ليستعين به الإنسان فى قضاء حاجاته ومآربه، ويصل به إلى منتهى غاياته وآماله، وعليه أن يشكر الله ﷻ على تسخيره الأشياء إليه، وجَعْلِها معينة له على معاشه ومعاده.

ولقد استعان رسول الله ﷺ فى أمور الدين والدنيا بأصحابه وبغيرهم، وبكل ما حوله من أشياء، تنفيذاً لأمر الله وحكمته فى إقامة الأسباب.

وقد آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار، ليعين كلُّ واحد منهم أخاه على طاعة الله، وعلى شئون الحياة الدنيوية.

وهذا أكبر دليل على التعاون البنَّاء الصادق فى الإسلام، فقد بلغ التعاون منهم أقصاه، حيث كان يقتسم

٢٢ متفق عليه من حديث أبى هريرة.

الواحد منهم ماله مع أخيه، ويطلق له إحدى زوجاته ليزوجها له.

نسأل الله من فضله أن يعيد للمسلمين هذه الأمجاد التى أسعد الله بها العباد والبلاد.

الشبهة الخامسة

بيان حديث:

{ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ }[٢٣]

إن المحدثات هى الأمور التى حدثت فى الدين بعد رسول الله ﷺ وهى نوعان:

النوع الأول من المحدثات

هو ما يدخل تحت ما أمر الله به ورسوله، وقد استحسنه المسلمون، من أعمال القربات والبرِّ والخير، فهو

٢٣ رواه أحمد عن ابن مسعود

من السنَّة، وهو بدعةٌ حسنة قال ﷺ :

{ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا، وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً }[٢٤]

وذلك مثل الأمور الآتية:

أولا:

صلاة التراويح فى جماعة، فقد جمع سيدنا عمر رضي الله عنه المسلمين عليها فى المسجد، وقد كانوا يصلونها فى عهد رسول الله ﷺ فرادى فى المسجد، وفى بيوتهم، وقال عنها سيدنا عمر رضي الله عنه :(نعمة البدعة هذه).

ثانيا:

ذكر الله فى جماعة قياماً وقعوداً كما فعل سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فى مصلى العيد، فقد جلس مع أصحابه بعد انصراف الناس يذكرون الله تعالى، ولم يكن ذلك

٢٤ رواه الترمذى عن جرير.

الذكر على عهد رسول الله ﷺ بهذه الكيفية.

ثالثا:

الآذان الثالث يوم الجمعة، فى عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه، حيث أمر المنادى ينادى بالصلاة قبل الجمعة بساعة، فى مكان يقال له الزوراء – وهو سوق المدينة حينئذ – لتنبيه الناس إلى فض البيع والشراء، والتجهز لصلاة الجمعة، ولم يكن هذا الآذان على عهد رسول الله ﷺ .

رابعا:

كتب سيدنا عثمان مصحفاً واحداً وجمع عليه المسلمين فى جميع الأمصار، وأمر بحرق ما عداه من المصاحف التى فيها التفاسير، حتى لا يختلط القرآن بالتفسيرات التى وضعها الصحابة فى مصاحفهم.

خامسا:

الصلاة على النبى ﷺ عقب الآذان بصوت مرتفع من المؤذن فوق المسجد، فقد استحسنه المسلمون، ورأوا أن

ذلك مزيداً فى تذكير الناس بالصلاة على النبى ﷺ عقب الآذان فإنها سنة من سنن الإسلام.

فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

{ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ }[٢٥]

والمؤذن أولى المؤمنين بالصلاة على النبى ﷺ لأنه فرغ من الآذان، ومكلَّف بما كلِّف به باقى المسلمين فى هذا الحديث الشريف، غير أنه يرفع صوته بالأذان ومن يسمعه يخفض صوته به.

---

٢٥ .رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

سادسا:

الاحتفال بمولد النبى ﷺ بالصورة التى يقوم بها المسلمون الآن: فإنما هو لتذكير المسلمين بميلاد رسول الله ﷺ ، وبالآيات والكرامات التى أكرم الله بها العالم الإنسانى فى زمان مولده عليه الصلاة والسلام، وبالإرهاصات والبشائر التى كانت بين يدى مولده ﷺ ، حتى يزداد المسلمون معرفة بعناية الله تبارك وتعالى بحبيبه ومصطفاه من لحظة ميلاده الشريف إلى ما شاء الله.

ولم تكن مثل هذه الأحفال تقام فى عهد النبى ﷺ ولا فى عهد أصحابه، لاستحضارهم ما تفضل الله به على البشرية بميلاده ﷺ ، فلم يكونوا فى حاجة إلى تذكير أو تنبيه.

سابعا:

كتابة حديث رسول الله وتدوينه، فإن الأئمة قد اهتموا بتدوين حديث رسول الله بعد تحصيله من صدور الصحابة بالأسانيد الموثوقة حرصاً على الحديث من الضياع، ولم يكن ذلك فى عهد رسول الله ﷺ .

وهذا الذى ذكرناه من البدعة الحسنة إنما هو على سبيل المثال لا الحصر لأن البدعة الحسنة التى استحدثها المسلمون بعد رسول الله ﷺ كثيرة ولا يكفى لحصرها هذا الكتاب الصغير.

ثامنا:

قيام سيدنا أبو بكر رضى الله عنه بجمع القرآن فى مجلد واحد، وقد كان القرآن مكتوبا فى صحف كثيرة متفرقة وعلى ألواح متعددة من الخشب والجلد والعظم والحجارة وجريد النخل وغيرها.

وهذه البدع كانت خيراً وبركة على المسلمين فى الدين والدنيا.

النوع الثانى من المحدثات

هو كل عمل خالف ما كان عليه رسول الله ﷺ ، أو خالف نصاً صريحاً من كتاب الله ﷻ ، أو حديث رسوله ﷺ، وهو بدعة الضلالة التى ضلَّ بها مخترعها، وضلَّ عن سبيل الله

كل من عمل بها.

وإن من يعمل بهذه البدعة يعذب فى نار جهنم حتى يتطهر منها، وهذا إذا لم يتب إلى الله منها فى الدنيا ومات مصرًّا عليها، أما من تاب فقد تاب الله عليه، وعفا عنه والله عفو كريم. قال رسول الله ﷺ :

{ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أوْزَارِهِمْ شَيْءٌ } [٢٦]

وسنسوق إليك يا أخى المؤمن أمثلة كثيرة من بدعة الضلالة، حتى تكون على بينة منها:

أولا: تبرج النساء، وهو إظهار مفاتنهن للرجال الأجانب بقصد إغرائهم.

ثانيا: اختلاط النساء بالرجال الأجانب لغير الحاجة.

ثالثا: تجمل المرأة لغير زوجها، وتجمل الرجل لغير

---

٢٦ من حديث جرير برواية الترمذى.

زوجته.

رابعا: إستعمال الملابس التى تحدِّد العورة أو تصفها سواء فى ذلك الرجل أو المرأة.

خامسا: الخروج على الحكام والأمراء بالكفر والفسوق.

سادسا: رمى الحكام والأمراء بالكفر أو الفسوق.

سابعا: تكفير المسلم المخالف لبعض أحكام الشريعة.

ثامنا: فتح الحانات والخمارات والتصريح بها.

تاسعا: إقامة المسارح للرقص الخليع.

عاشرا: فتح حوانيت للقمار والميسر والتصريح بها.

حادى عشر: فرض الضرائب المتصاعدة على من يريد الحج والعمرة.

ثانى عشر: التفرقة بين المسلمين ولو باسم الدين وهى شرُّ البدع.

ثالث عشر: الإعجاب بالرأى والانتصار له.

رابع عشر: غناء المرأة فى المجتمعات بصوت يثير الغرائز.

خامس عشر: ترويج الإشاعات ضد الدولة.

سادس عشر: إذاعة الأفلام الهابطة والتمثليات اللا أخلاقية.

سابع عشر: الدعوة إلى الله من غير معرفة بآدابها.

ثامن عشر: تشريع القوانين التى تخالف أحكام الإسلام وتنفيذها.

تاسع عشر: تعذيب المسلم أو إهانته بدون سبب موجب لذلك.

عشرون: الجدال حول الفروع التى اختلف فيها الأئمة.

الحادى والعشرون: رفع الأصوات فى المساجد بالمهاترات والمنازعات.

الثانى والعشرون: جشع التجار واحتكارهم السلع.

الثالث والعشرون: جور الحكام وظلمهم للناس.

الربع والعشرون: التملق للحكام وعدم تقديم النصيحة لهم.

الخامس والعشرون: التطاول على الحكام بالطعن عليهم والنيل منهم بالسبِّ والشتائم.

السادس والعشرون: عدم دعوة غير المسلمين إلى الله.

السابع والعشرون: حرمان أحد الورثة من الميراث.

الثامن والعشرون: الإسراف فى المناسبات وغيرها.

التاسع والعشرون: رمى أولياء الله بالطواغيت أو الأصنام.

الثلاثون: لعن المسلم وسبُّه.

الحادى والثلاثون: منع النسل أو تحديده.

وهذه الأمثلة ليست هى كل البدع، وإنما هناك أمور

كثيرة إبتدعها الناس بعد رسول الله ﷺ ، وهى ليست من الدين فى شئ، وهى محرمة، ولكن المسلم الذى يأتيها ليس بكافر ولا مشرك، وإنما يكون شأنه فى الدين بحسب تأثير بدعته على آداب الإسلام وأحكامه، وبقدر المضار التى تصيب المسلمين من ورائها.

وعلى الأئمة والعلماء توجيه من يأتى شيئاً من هذه البدع وردُّه عنها بالأسلوب اللين، وتكرار النصيحة له مع الرحمة والشفقة عليه، حتى يستقيم حاله.

وعلى الدولة محاسبة كل صاحب بدعة، وإعادته إلى الطريق المستقيم، حتى لا تستشرى بدعته وتضر غيره من أفراد الأمة، قال رسول ﷺ :

{ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}[٢٧]

وقال ﷺ :

٢٧ رواه الترمذي عن جرير بلفظ: (ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم من شيء).

{ شرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلُّ مُحْدَثَةٌ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٌ ضَلالَةٌ، وَكُلُّ ضَلالَةٌ فِى النَّارِ }[٢٨]

يعنى: أن كل ضلالة تورد صاحبها النار، وتوبقه فيها، ما لم يتب إلى الله منها، ويرجع عنها ....، ثم يخرج من النار بعد التطهِّير من بدعته، أو بشفاعة رسول الله ﷺ ، أو بعفو الله عزَّ وجلَّ عنه.

سادساً

تغيير المنكـــر

بيان حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه:

{ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، ...فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه،

٢٨ رواه أحمد عن ابن مسعود.

وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَان }[٢٩]

❁ هذا الحديث الشريف موجَّهٌ بادئ ذى بدء إلى من يستطع تغير المنكر من الأمراء والحكام والعلماء، الذين يقدرون على تغير المنكر:

- مرَّةً بالحكمة.
- ومرَّةً بالموعظة الحسنة.
- وثالثاً بالتخويف والزجر.
- ورابعةً بالأخذ على يد صاحب المنكر.
- وخامسةً بالمداراة والستر حتى يستقيم هذا الإنسان المُعْوَج على الصراط المستقيم.

❁ وإنَّ الذى لا يمكنه تغيير المنكر بلسانه أو بيده؛ يجب عليه أن ينكره بقلبه:

يعنى:

---

٢٩ رواه الترمذى عن أبى سعيد.

- لا يرضى به؛ ولا يرضى عن فاعله.
- ويحزن ويتألم لوقوعه.
- ويدعو الله أن يغيَّره.
- ويبلِّغ الذين يمكنهم تغييره.

وعلى ذلك يكون كلُّ المسلمين قد اشتركوا فى تغيير المنكر؛ كلٌّ بحسبه وعلى قدر طاقته.

وهذا هو المعنى المراد من الحديث الشريف، حسب ما تحتمله ألفاظه من المعانى.

۞ ثمَّ ما هو المنكر الذى يجب تغييره؟

هو كل أمر توعَّد عليه الشارع الحكيم مرتكبه بالعذاب والخسران فى الدنيا والآخرة:

- وهى الأمور المحرَّمة شرعاً، والمنصوص على حرمتها فى كتاب الله وفى سنة رسوله ﷺ، وأجمع على حرمتها أئمة المسلمين.

❁ وليس من المنكر:

- الأمور المختلف فى حرمتها بين علماء المسلمين وأئمتهم.
- وليس من المنكر ترك المسلم لبعض السنن والمندوبات والنوافل والمستحبات.

❁ وإنما المنكر هو:

- تركه لفريضة من الفرائض الواجبة عليه لله ﷻ.
- أو إرتكاب إثم من الآثام المحرمة شرعاً.

❁ أما من يترك السنن والنوافل؛ فالواجب على العلماء والمرشدين:

- أن يرغِّبوه فى الإتيان بها، وأن يشوِّقوه إلى عملها، بتذكيره بالثواب المنوط بها، وبالجزاء الذى أعدَّه الله لفاعليها، وبالحرمان الذى يصيب من قعد عنها وتهاون فيها.
- مع عدم مؤاخذة المسلم عليها.

- وعدم التشديد عليه فى شئ منها، حتى لا ينفر من العلماء والداعين إلى الله، ولا ينفر من أعمال البر والصالحات والقربات.

قال رسول الله ﷺ :

{ يَسّرِوا ولا تُعَسّرِوا، وبَشّرِوا ولا تُنَفّرِوا }[٣٠]

وقال الله تعالى:

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٨٣ البقرة]

۞ وكذلك من يفعل المكروهات أو الأمور المشتبه فيها، فإن على الأئمة والعلماء:

- أن يتلطَّفوا له فى القول.
- وأن ينبّهوه إليها برفق.
- من غير أن يجرّموه!!. أو يثيروا ضجة حوله !!!

لأن هذه الأمور يتعفَّف عنها الكاملون من المؤمنين

٣٠ رواه الطبرانى الكبير عن بن عباس.

أهل الورع والتقوى، قال ﷺ :

{ لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ، حَذَراً لِمَا بِهِ الْبَأْسُ }[٣١]

- أما عامة المسلمين فإنهم يأتون هذه المكروهات لجهلهم بحكمها أو لحاجتهم إليها.
- وفى كلتا الحالتين يُبصَّرون بالحسنى، ويذكَّرون باللين والشفقة، قال ﷺ ما معناه:

{ يؤخذ باللين ما لا يؤخذ بالشدة }[٣٢]

وقال أيضا ما معناه:

{ جربت السيف وجربت اللين فوجدت اللين أقطع }

- فإنه لا يجوز أمرٌ بمعروف يؤدى إلى جدال وشقاق.

---

٣١ رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم عن عطية السعدى.

٣٢ روى مسلم من حديث عائشة ﷺ بلفظ: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه).

- كما لا يجوز النهى عن المنكر بغلظة وفظاظة، فيكون الشرُّ الذى يجلبه على الناس أكثر من الشرِّ الذى ينهاهم عنه.
- إن الشرَّ لا يأتى بالخير أبداً، قال الله تعالى لسيدنا موسى وهاورن عليهما السلام عند دعوتهما فرعون إلى الإيمان، [٤٤طه]:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

وإن أفجر مسلم خيرٌ من فرعون، لأنه لم يكفر بالله، ولم يشرك به شيئاً.

تنبيـــه

۞ إن الذى يقوم بتغيير المنكر .. إنسان أخذته الغيرة لله ورسوله، ولدين الله ﷻ،وفى الوقت نفسه هو إنسانٌ أخذته الشفقة والرحمة على أخيه المسلم الذى وقع فى معصية الله وفى عذاب الله؛فهو يعمل بذلك على:

- إنقاذه مما وقع فيه، وعلى إرضاء الله ورسوله.
- ولا يقصد بذلك التغيير الإنتقام منه، أو التشفى من أخيه المسلم، ولا يقصد ضرره ولا التشهير به، فإن ذلك يُحبط عمله، ويُفسد قلب من وقع فى المنكر؛ فلا ينتفع بالموعظة ولا يستجيب لها، ويقع فى مخالفة أكبر... فيعاند الحقَّ ويتكبَّر عليه! .. وذلك بسبب عدم الحكمة فى تغيير المنكر.

ألا فليتق الله الدعاةُ فى عباد الله!!

إذ أن تغيير المنكر عملٌ من أعمال الدين الذى يقوم به المؤمن لله ﷻ ،... فوجب أن يكون خالصاً لله من كل الشَّوائب!! .. وإلاَّ كان الضَّرر به أكبر من نفعه!!

قال الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[ق]

وقال جلَّ شأنه فى سورة الغاشية:

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾

وقال رسول الله ﷺ :

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ في ٱلأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّماءِ }[٣٣]

الشبهة السابعة

ما أثاره بعض المتعالمين حول قول رسول الله ﷺ :

{ لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ }[٣٤]

وقولهم إن المسلمين الذين يتخذون المساجد على الموتى ويصلون فى هذه المساجد قد تشبَّهوا باليهود والنصارى، وقد دخلوا فى هذه اللعنة التى ذكرها رسول الله

٣٣ رواه أبو داود والبيهقي عن عبدالله بن عمرو.
٣٤ رواه الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

ﷺ فى هذا الحديث الشريف.

وفاتهم أن هذا الحديث موجَّهٌ أصلاً على اليهود والنصارى، وليس مُنصبًّا على أحد من المسلمين، وذلك لأن اليهود والنصارى قد فسدت عقائدهم، وضلُّوا فى إيمانهم، وأخذوا يقصدون بعبادتهم أصحاب القبور من أنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم والصالحين منهم، وذلك بنص قول الله تعالى:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة]

وإن اليهود والنصارى يعتقدون فيهم النفع والضر، والإعطاء والمنع، وغير ذلك من الأمور التى لا تتأتى إلاَّ من الله سبحانه وتعالى، ولا تنبغى لأحد سواه.

ومن هنا اتخذوهم أرباباً، وعبدوهم من دون الله، وكانوا

يسجدون فى هذه القبور لأصحابها، ولذلك لعنهم رسول الله ﷺ فى هذا الحديث الشريف.

ونحن نعلم أن اللعن هو الطرد من رحمة الله، والحرمان من مغفرته سبحانه وتعالى، لأن من تنصبُّ عليه اللعنة إما كافراً بالله، وإما أشرك مع الله آلهة غيره.

أما المسلمون الذين يدفنون أمواتهم فى المساجد ويصلُّون فيها، فإنهم بعيدون كل البعد عن لعنة الله ورسوله، لأنهم لم يتشبهوا باليهود ولا بالنصارى فى شئ مما سبق ذكره من الأمور التى توجب اللعن.

فإن المسلمين إنما يدفنون الصالحين منهم فى المساجد تكريماً لهم، وتقديراً لفضلهم وعملهم وجهادهم، حتى يتذكر من يصلى فى هذه المساجد مآثرهم وأعمالهم، وأخلاقهم وفضلهم، فيُتأسى بهم ويُقتدى بأعمالهم وأخلاقهم؛ ولم نسمع أن مسلماً سجد لقبر! ولا لصاحب قبر مهما كان شأنه.

والمسلم – أين كان وكيف كان – إذا وقف يصلى فإنما يعبد الله بصلاته، ويقصده بعبادته ...

سواء وقف يصلى أمام حائط، أو أمام عمود من أعمدة المسجد، أو أمام قبر، أو أمام شجر، أو أمام إنسان، أو أمام حيوان، فإنه لا يشغله شئ من ذلك عن الله ﷻ ، الذى أَحْرَمَ إليه بصلاته، وقصده بعبادته دون من سواه وما سواه، فإن الأرض كلها جُعلت مسجداً للمسلمين بدون استثناء – اللهم إلا أماكن القاذورات والنجاسات التى لا يجوز للمسلم شرعاً أن يصلى فيها.

قال رسول الله ﷺ :

{ جُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسجداً وَطَهوراً }[٣٥]

حتى إنه يجوز أداء الصلاة فى الكنائس والبيع، والمعابد والهياكل، التى توجد فيها التماثيل والصور المجسدة – مع الكراهة فقط – وتُكره أيضا الصلاة فى المقبرة العامة لإختلاط ترابها برفات الموتى، أما إذا فرش المصلى فوقها شيئاً طاهراً فلا كراهة فى الصلاة حينئذ.

وبناء على ذلك فقد اتضح معنى هذا الحديث

٣٥ رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الشريف، وتبيَّن كيف أن اللعن منصبٌ على اليهود والنصارى لكونهم عبدوا أنبيائهم ورهبانهم وأحبارهم، واتخذوهم آلهة من دون الله.

وظهر أيضاً كيف أن أصغر مسلم لم يتخذ مع الله إلهاً آخر، ولم يقصد بعبادته أحداً غير الله ﷻ، لصحة عقيدته، وصدق إيمانه بالله ورسوله.

الشبهة الثامنة

بيان حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه:

{ لاَ تُشَدُّ الرِّحَالَ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ. مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى }[٣٦]

فقد قال بعض المثقفين إن الذين يشدون الرحال، ويسافرون إلى مسجد الحسين ﷺ، أو المسجد البدوى ﷺ

٣٦ .وقد ورد هذا الحديث في الجامع الكبير عن عمرو وأبي سعيد بهذا النص: (لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، إلى المسجد الأقصى، وإلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا).

بطنطا، أو أى مسجد من مساجد أولياء الله ﷻ، قد ارتكبوا إثماً كبيراً فى ذلك، لمخالفتهم هذا الحديث الشريف.

وفاتهم:

- أن هذا النهى إنما هو للكراهة فقط، وليس للتحريم لعدم وجود قرينة تدل على تحريم ذلك، هذا من ناحية.
- ومن ناحية ثانية: فإنه فاتهم أن الصلاة فى المسجد الأبعد فيها مثوبة أعظم، وفيها تكفير للخطايا، ورفع للدرجات، بسبب كثرة الخطوات لهذا المسجد.

فإن كثرة الخطا إلى المساجد من سنة الإسلام الحميدة، فقد قال ﷺ :

{ أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ علَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا

إِلَى الْمَسْاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ }[٣٧]

فكلما كان المسجد بعيداً؛ كان الجزاء أكبر، وكانت الدرجات أرفع، وكان غفران الذنوب أعمَّ وأشمل، وكانت كثرة الخطا إلى المساجد رباط فى سبيل الله، وجهاد لإعلاء كلمته.

فكيف بعد ذلك يدَّعى بعض الناس أن من يسافر إلى الصلاة فى هذه المساجد قد ارتكب إثماً أو فعل خطأً.

- ومن ناحية ثالثة: ..فإن معنى الحديث الشريف لا تشد الرحال – بصفة واجبة أو مفروضة – إلا لهذه المساجد الثلاث.
- وإن كان يجوز شدُّ الرحال لغيرها من المساجد على سبيل الندب والسنة لما سبق تقريره.
- هذا وإننى أزيدك أيها المؤمن بيانا فى هذا الموضوع

---

٣٧ رواه ابن حبان عن أبى هريرة.

فأقول وبالله التوفيق:

إن الذين يشدُّون الرحال، ويسافرون إلى هذه المساجد لم يقصدوها فى الحقيقة ونفس الأمر، وإنما يقصدون زيارة أصحابها من آل بيت رسول الله ﷺ، ومن الأولياء والصالحين، رضى الله تعالى عنهم، لأن قلوب المسلمين تحنُّ إليهم وتشتاق عليهم، .. هذا علاوة على أنهم يتقربون إلى الله ﷻ ويتوددون إلى رسول الله ﷺ بزيارتهم، عملاً بقول الله تعالى:

﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [٢٣ الشورى]

وقول رسول الله ﷺ ما معناه:

{ من أراد أن يكرمنى فليكرمنى فى أهل بيتى }

وإن من السنَّة المؤكدة أن يزور المسلم قبور الصالحين والشهداء والمقربين، فقد كان رسول الله ﷺ يزور شهداء

أحد، ويزور أهل البقيع، ويزور غيرهم من الموتى ويدعو الله عندهم بما شاء، وكل هذا ثابت فى الأحاديث الصحيحة.

حتى إن رسول الله ﷺ كان يزورهم ليلاً ونهاراً، منفرداً مرة ومع أصحابه مرةً أخرى، وهذا لنعرف كيفية السنة فى زيارة القبور وأصحابها من المؤمنين والشهداء والأولياء.

هذا، وإنه ليحضرنى الآن قول الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [٣٧ إبراهيم]

فهذه الذرية التى تناسلت من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ، ومن رسول الله إلى يومنا هذا وحتى تقوم الساعة .....:

قد هَوَتْ القلوبُ إليهم .....

وحنَّتْ الأرواح إليهم .....

استجابة لدعوة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام، فلا لومٌ ولا مؤاخذةٌ على الذين تهيموا بحبِّهم، وتشوقوا إليهم رضى الله عنهم ورضوا عنه:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾ [البينة]

فإن الله هو الذى جعل الأفئدة تميل نحوهم وتحبُّهم وتعشقهم ....

سواء كانوا عند الكعبة المقدسة .....

أو فى أى بقعة من أرض الله .....

لأنهم ذرية الخليل عليه السلام المتناسلة من ولده إسماعيل جدِّ النبى مُحَمَّدٍ ﷺ .

وبعد هذا العرض والبيان ....:

يتضح لنا الحقُّ الصريح فى معنى هذا الحديث

الشريف، .... ويزول اللبس والغموض الذى كان يكتنفه ويحوم حول بعض الأفكار التى لم تسبر غوره، ولم تصل إلى حقيقة معناه.

والله ورسوله أعلم.

معرفة اللـه

قال الله تعالى:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [١٩ محمد]

العلم هو استحضار النفس صورة المعلوم بوجه ما.

ولما كان المعلوم هنا هو الله عزَّ شأنه، وكانت صورته الحقيقية هى معانى أسمائه ومعانى صفاته، ومعانى كمالاته وأنواره القدسية ...

وكان لا بد للعلم بها من الأخذ من كتاب الله، ومن سنة رسوله، ومن بيان العلماء الراسخين، حتى يعرف المؤمن حقيقة لا إله إلاَّ الله؛ فإنه لزم لكل مؤمن من أن يحصِّل العلم بالله من وجوهه التى ذكرناها، حتى يكون قد وقع به العلم على اليقين الحق.

لأن العلم بمقامات الله، وبأسماء الله، وبصفات الله، وبما يجب لله، وبما يستحيل فى حقِّ الله، وبما يجوز أيضاً على

الله – لا يكفى فيه ولا ينفع فيه غير اليقين.

قال الله تعالى:

﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٣١ المدثر]

وقال تعالى فى سورة الذاريات:

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

أى الموقنين بالله ﷻ وبتصريف قدرته العجيب.

هذا وإن علم لا إله إلا الله فى هذه الآية الشريفة هو:

- اليقين بها ذاتاً وأسماءً وصفاتاً وأفعالاً.
- والاعتقاد بأنه يجب لله ﷻ كلُّ كمال يليق بجنابه المقدس، ويستحيل عليه كلُّ نقص، وكلُّ ما يوهم مشابهته ﷻ لشيءٍ من المخلوقات.

- والإيمان بأنه يجوز فى حقِّه سبحانه وتعالى فعل كل ممكن أو تركه.
- واليقين بأن لله المشيئة المطلقة، والحكمة البالغة، والقدرة على كل شئ.
- وأن العلم بالله لا نهاية له.

قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

عَنِّى اسْمَعُوا مَا تَعْقِلُونَ مِنْ الكَلام

فَالعِلْمُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ صَافِى المُدَام

وَالعِلْمُ بِاللهِ العَلِيِّ غَوَامِضٌ

لَمْ يُفْقَهَنْ إلاَّ لِصَبٍّ فِى اصْطِلام

خُذْ مَا صَفَا لَكَ مِنْ إشَارَةِ عَارِفٍ

فَالعَارِفُونَ كَلامُهُمْ يَشْفِى السِّقَام

وعلى ذلك فإنه يجب على المؤمن:

أن يطلب العلم بالله دائماً وباستمرار، حتى يزداد فى

كلِّ نَفَسٍ إيمانه، ويقوى يقينه، بما يحصِّله من العلم.

قال جلَّ شأنه:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه]

لأن المزيد من العلم يستوجب الرفعة والسمو فى المقامات والدرجات... فإن قدر كل امرئ ما كان يحسنه من العلم ويتقنه من العمل.

وإن العلم حياة حافلة بالخيرات، وأن الجهل موت متعفن بالآفات، ففى (٢٢فاطر):

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾

اللهم ارزقنا العلم الذى يرفعنا لمقامات الخشية من جنابك، والرهبة من جلالك، والرغبة فى قربك ووصالك، والمحبة فى جمالك وكمالك، إنك سميع قريب مجيب.

وصلى على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

البحث عن الله فى الكائنات

إن البحث عن الله فى الكائنات لا يفيد الباحث شيئاً أكثر من معرفة الصانع الذى أوجد هذا الكون.

أما صفاته، أما أسماءه، أما أنواره، أما محارمه وزواجره، أما أحكامه وأوامره، أما أخباره وغيوبه، أما شدته وقهرمانة، أما جبروته وسطوته وانتقامه، أما أفعاله وأقداره، أما علومه وأسراره، أما مواجهاته وتنزلاته، أما قدرته وعظمته وكبرياءه، أما رحمته وعفوه وإحسانه:

فذلك كلُّه يتلقاه طالب النجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ ، ومن هدى الأئمة الراشدين والعلماء العاملين.

قال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه]

أما التفكر فى الكائنات؛ للتعرف على قدرة الله فى إيجادها، وحكمة الله فى تسخيرها، وفضل الله فى نفعها، والتعرف على الفوائد والخواص التى جعلها الله فيها، والتعرف على مدى احتياج الإنسان إليها:

فإن هذا التفكر يقوّى الإيمان بالله والثقة به جلَّ شأنه، وهو عبادة كبرى يقوم بها المؤمن لله ﷻ.

روح التوحيد

۞ هو أن تفتح عين قلبك لتشهد الحقَّ تبارك وتعالى إلهاً واحداً أحدا، فرداً صمدا، قادراً عليما، سميعاً بصيرا، حاضراً قائماً على كل شئ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير، وهو حىٌّ أبدىٌّ لا يموت، وهو على كل شئ

قدير. هو الأول والآخر، وهو الظاهر والباطن، وهو الحكم العدل، وهو شديد العقاب وهو الغفور الرحيم.

۞ وتفتح عين رأسك لترى الكائنات كلَّها مربوبة لعظمته، مقهورة لسلطانه، لا تملك هذه الكائنات لنفسها ولا لغيرها شيئاً إلا بإذن الله، وهى أسباب فقط أقامها الله ﷻ ليظهر بها لعباده فاعلاً مريدا، وعالماً مختارا، له الشأن وله الأمر فى الأولى والآخرة، وهو على كل شئ قدير، وبكل شئ عليم، لا يسأله أحد عما يفعل وهو يسأل كل أحد عن كل شئ إن شاء ومتى شاء وكيف شاء.

قال الله تعالى فى سورة الأنبياء:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

۞ وأن تفتح أذن روحك وأذن رأسك لتسمع أخبار الله ﷻ التى جاء بها القرآن الكريم، وتسمع بيان رسوله ﷺ ، فيزداد إيمانك، ويقوى يقينك، ولا تزال كذلك حتى تفارق الدنيا، وترحل إلى دار الآخرة.

❁ فـرُوحُ التوحيـد أن تـشاهد ربَّـك الـذى وحَّدتـه ومجَّدتـه، وأن تكاشـف بكـل الحقـائق الـتى آمنـت بهـا مـن الغيوب، ومن الرسل، ومن الكتب، واليوم الآخر وما فيه، ومن الحياة بعد الموت، ومن القضاء والقدر، وبكل ما جاء به رسول الله ﷺ حتى تتذوق روحك حقَّ اليقين وتصبح من المقربين.

❁ اللهم ارزقنا أسرار التوحيد وأنواره، وارزقنا الإيمان الكامل، وارزقنا العمل الصالح، وارزقنا العلم النافع، يا رب العالمين.

❁ إلهى ما وحَّدناك إلا بعد أن هديتنا، وما عبدناك إلا بعد أن أعنتنا، وما آمنا بك إلا بعد أن وفقتنا، فلك الحمد ولك الشكر، ولك الفضل، ولك الثناء الحسن الجميل.

اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم وبسلطانك القديم من الشيطان الرجيم، ومن شرِّ النفاثات فى العقد، ومن شرِّ حاسد إذا حسد، ومن شر الخلق أجمعين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

ملاحظــة

قد قررنا فيما سبق أن الشرك بالله:

هو اعتقاد الإنسان أن لله شريكاً أو مُعيناً أو زوجة أو ولد، أو مثيلاً أو شبيها، أو ضدًّا أو ندًّا، أو كمًّا أو كيفا، أو زماناً أو مكانا، أو صورة أو عرضاً أو جوهراً.

فهذا الشرك بعيد عن كل مسلم، بل يكاد يكون محالاً على أصغر مسلم:

لأن المسلم اعتقد أن الله ليس كمثله شئ – فى كل شئ، وليس يشبه شئ فى أى شئ – وهو السميع البصير.

وقد أكرم الله المسلمين فجعل هذا الشرك لا يخطر على قلوبهم، ولا يحوم حول أفكارهم، فكلُّ ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وهذا الشرك هو الكفر بعينه، وهو يتنافى مع الإسلام بالكلية.

قال تعالى، (١١٦النساء):

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾

وقال تعالى، (٤٨النساء):

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾

وقال تعالى:

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [٤٨ النساء]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان]

۞ وبقى هناك كلام حول الشرك الأصغر وهو الرياء، ومعناه:

أن يعمل الإنسان العمل لغير الله ﷻ .

وذلك إنما يكون فى العبادات فقط، كمن يصلى ليرضى الناس عنه، أو يوهم الناس أنه ناسك صالح، أو ليسلب أموال الناس.

قال رسول الله ﷺ :

{ إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ أَلاصْغَرَ، قال: ومَا الشِّرْكُ أَلاصْغَرُ يا رسولَ الله؟ قالَ: الرِّياءُ، يقولُ الله ﷻ إِذا جَزَى الناسَ اعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلى الذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ في الدُّنيا فانْظُروا هَلْ تَجِدُونَ عنْدَهُمْ جزاءً؟ } [٣٨]

فالرياء هو أن يعبد الإنسان ربَّه لوجه الناس وللطمع فى مالهم، فهذا هو الشرك الأصغر.

---

٣٨ رواه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهو ذنب من الذنوب الكبيرة، وليس كفراً ولا شركاً بالله عزَّ شأنه.

وهذا الرياء هو مرضٌ فى القلب يحبط ثواب العمل عند الله، ويقول الله لصاحبه يوم القيامة إذهب لمن كنت تعمل له فخذ أجرك منه.

وهذا اللون من ألوان الشرك أعتقد – والحمد لله – أنه بعيدٌ جداً عن كل مسلم ومسلمة، فليس المسلمون اليوم فى حاجة إلى إرضاء أحد من الخلق بعبادتهم، لأن أحداً من الناس لا ينتفع بشئ من وراء هذه العبادة.

۞ أما من يعبد الله من أجل مصلحة دنيوية، فهذا إن كان مستعيناً بالعبادة على قضاء حاجته فلا إثم عليه، لأن الله يقول:

﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [٤٥ البقرة]

۞ وأما إن كان يعبد الله لنوال حاجته فقط ...!!! فلما نالها قطع العبادة !!! فهذا آثم بعبادته !!! ومرتكب

لأكبر الأوزار بها.

فقد قال ﷺ :

{ مَلْعُون مَلْعُون مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ }[٣٩]

وقال الشاعر:

صَامَ وَصَلَّى لأَمْرٍ كَانَ يَطْلُبُهُ

فَلَمَّا انْقَضَى الأَمْرَ لا صَلَّى ولا صَامَ

۞ والعارفون بالله ﷻ يرون أن هناك:

- شركاً خفيًّا.
- وأن هناك شركاً أخفى.

۞ أما الشرك الخفى فهو:

- أن ينسب الإنسان الأعمال والأفعال إلى الأسباب وإلى نفسه.
- وينسى الفعَّال لما يريد جلَّ شأنه.

---

٣٩ رواه الديلمى والطبرانى عن أنس.

- لأنه رأى الأشياء قامت بالأسباب، وعمى عن رؤية مسبب الأسباب جلَّت قدرته.

قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

مَنْ يرَى الغَيْرَ فَعَّالاً فَمُنْقَطِعٌ

لأنَّهُ مُشْرِكٌ قَدْ مَالَ لِلْسُّفْلِ

❁ أما الشرك الأخفى فهو:

- طلب الجنة ونعيمها بعبادة الله ﷻ .
- وهذا هو عدم الإخلاص فى عبادة الله سبحانه وتعالى، لأن إخلاص العبادة لله هو أن يعبد المؤمن ربَّه لذاته، لأنه يستحق العبادة لحضرته، بدون نظر إلى نوال ثواب أو خوف من العذاب، قال الربُّ جلَّ شأنه:

(عجباً لِمَنْ رَآنِى دُونَ مُكَوِّنَاتِى، فقال العارف: يارب ومن هذا الذى رآك دون مكوناتك؟ قال الله: من عبدنى من أجل جناتى فقد رآنى

دون مكوناتى).

وهذه حال من أحوال الشرك الأخفى.

إذ أن هذه الأمور وأمثالها تخفى على كثير من المؤمنين والعابدين، وهى مقامات عالية فى معرفة الله ﷻ ، ومنازل سامية من منازل العارفين بالله الذين ينزهون سرَّهم عن كل ما سوى الله سبحانه وتعالى، فلا يرجون غيره ولا يبغون سواه، ولا يطمعون فى غير رضوانه الأكبر، ولا يأملون شيئاً سوى النظر إلى وجهه الكريم، ولا يتمنون لذة غير الأنس بجنابه العليِّ فى حظائر القدس الأعلى.

فهم الذين يعبدون الله مخلصين له الدين حنفاء، قد تطهرت قلوبهم من جميع العلل والشوائب، وتنزّه سرُّهم من كل الأعراض والمقاصد.

سرَّ قول الله تعالى فى سورة الأنعام:

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ

﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

وقوله تعالى فى سورة البينة:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾

وقوله ﷺ :

{ أخلص العمل فإن الناقد بصير } [٤٠]

وقوله عليه السلام:

{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ }[٤١]

هذا وقد ذكر رسول الله ﷺ فى هذا المقام حديثاً يبين فيه معنى الشرك الأخفى، ويبين فيه كيفية الخلاص منه والبعد عنه.

---

٤٠ رواه الأصبهانى فى الترغيب.

٤١ رواه الحاكم.

فقال ﷺ :

{ يَا أَبَا بَكْرٍ، الشرْكُ أَخْفَى فِيكُمْ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، وَسَأَدُلُّكَ عَلى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ صِغَارُ الشرْكِ وَكِبَارُهُ، أَوْ صَغِيرُ الشرْكِ وَكَبِيرُهُ قُلْ: اللَّهُمَّ إِني أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ : تقولها ثلاث مرات في اليوم" }[٤٢]

فهذا الحديث الشريف فضل من الله ورسوله على المسلمين، وشفاء من هذا المرض الخطير، أعاذنا الله جميعا منه إنه مجيب الدعاء.

٤٢ رواه الترمذي.

خاتمـــة

ربنا لك الحمد ولك الشكر، على نعمك التى أسبغتها على العبد الذليل المسكين، وهو لا يستأهل شيئاً منها ولكن فضل الله العظيم قد مننتَ به عليه من محض جودك وإحسانك، سبحانك لا أحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك.

أنت أهل العطاء والنعمة، وأنت أهل البرِّ والرحمة، فقد أطمعنى كرمك فى غفرانك، وقد أغرانى حلمك فى رضوانك.

يا حليماً ذا أناه، ويا كريماً ذا سخاء، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

إلهى وسيدى ومولاى: لى ذنوب أقعدتنى عن اللحاق بالصالحين، ولى أوزار أوقفتنى عن السير فى ركاب العارفين، فأتوسل إليك بجاه حبيبك ﷺ أن تغفرها لى، وأنت الغفور الرحيم، وأن تمنحنى حسن الخاتمة يا جواد يا كريم.

ولقد كان من أعظم نعمك علىَّ، أن أعنتنى على تسطير هذا الكتاب المتواضع، فى بيان التوحيد من القرآن المجيد، ومن السنة المطهرة ولقد أمليته على ولدى البار الأستاذ/ ناصر عبد الله درويش الموظف بهيئة الاستثمار ببورسعيد.

وإننى أرجو أن يكون فى هذا الكتاب غُنية للمسلم عن مطالعة المطولات من الكتب التى تبحث فى هذا العلم.

أدعو الله العلى القدير أن يتقبَّل هذا العمل لوجهه الكريم، إنه مجيب الدعاء، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين:

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات]

الفهرست

الموضـوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية بقلم الشيخ فوزى مُحَمَّد ابوزيد	٣
مقدمة الطبعة الأولى للمؤلف	٧
نبذة عن حياة الشيخ مُحَمَّد على سلامة	٩
تمهيـد	١٧
التوحيد في القرآن	١٨
أولاً	١٨
ثانياً	٢٤
ثالثاً	٢٦
التوحيد في السنة	٣٧
التوحيد الخالص	٤١
ركائز التوحيـد	٤٣
بساطة الإيمان	٤٨
دور الأسباب في حياة الناس	٥١
رسوخ العقيدة في قلب المؤمن	٥٧
شبهات يثيرها بعض الناس	٦٢

الشبهة الأولى: الصلاة في المساجد التي بها قبور	٦٢
الشبهة الثانية: التقول على أصحاب الأضرحة ...	٦٥
الشبهة الثالثة: تكفير من يقول مدد يا رسول الله!	٦٧
الشبهة الرابعة وبيان حديث (إذا سألت فسأل الله)	٧٣
الشبهة الخامسة وبيان حديث (كل محدثة بدعة)	٧٧
النوع الأول من المحدثات	٧٨
النوع الثانى من المحدثات	٨٣
سادساً: تغيير المنكر	٨٩
تنبيـه	٩٥
الشبهة السابعة وبيان حديث (اتخذوا قبور أنبيائهم)	٩٧
الشبهة الثامنة:بيان حديث (لا تشد الرحال إلا ..)	١٠١
معرفة الله	١٠٧
البحث عن الله في الكائنات	١١١
روح التوحيد	١١٢
ملاحظة	١١٥
خاتمة	١٢٤
فهرست	١٢٦

لملاحظات القارىء الكريم:

التوحيد في القرآن والسنة

كثر الخوض فى هذه الأيام فى المسائل الخلافية فى الدين الإسلامى، وتصدى الكثيرون لذلك، بعضهم تحركه الرغبة فى جمع شمل الأمة؛ فيحرر المسائل على ما جاء فى القرآن وصحيح السنة وآراء السلف والأئمة الأعلام.

وبعضهم تحركه الأهواء والعصبية، فيتبنى مذهبا أو ينتمى لطائفة يريد أن ينتصر لها بأى حال؛ فيلوى معانى الآيات، ويتشدد فى فهم الحديث، ويرفض آراء السلف الصالح الحداة، ويأخذ برأى الشذاذ لينتصر لفكره وإن كان مخالفا للجماعة! بل تجده يهاجم من خالفه ويشنع عليه؛ وربما اشتط فى جداله فيدخل من خالفه فى دائرة الكفر أو الشرك بلا سند من شرع ولا دليل من كتاب أو سنة!

وهذا الكتاب فى رأينا من أوفى كتب هذا الباب وأيسره، فإلى جانب معالجته للقضايا الخلافية مستدلا بالكتاب وصحيح الحديث، وبالحجج التى يستنبطها منهما، فهو يؤيد الفهم الصحيح لجماعة علماء المسلمين قديما وحديثا المشار إليهم فى الحديث الشريف: ﴿ يد الله مع الجماعة ﴾، ناهيك عن أن مؤلفه اتخذ المنهج العلمى أسلوبا له فى معالجة مسائله؛ فلم ينتصر لرأى معين أو مذهب بذاته، وإنما كان قصده إظهار الحق والحقيقة؛ رأباً لصدع الخلاف بين أهل العقيدة الواحدة، وجمعاً لشمل المسلمين على الهدى والحق المبين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تطلب الكتب من: دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥، المعادى القاهرة ت: ٠٠٢٠٢٧٥٢٧١٤٠